أقلام مهاجرة

صوت الرابطة القلمية الجديدة

مجلة ثقافية أدبية إلكترونية

العدد الثامن ـ كانون الثاني 2023

أقلام مهاجرة صوتُ الرابطة القلمية الجديدة في نيويورك، وموقع الكلمة الحرة، ومنبرُ الفكر الحر ضمن المعايير الأخلاقية الذوقيّة الراقية، وتبقى المجلة بمن تمثّل غير مسؤولة عن كتابات المحررين ولا يتحمّل أحدٌ وزرَ آخر من الكتّاب.

رئيسا التحرير:

القسم الإنكليزي: الدكتور جورج نقولا الحاج

القسم العربي: يوسف عبد الصمد

مديرة التحرير: كريستين زعتر معلوف

في هذا العدد

مـدخـل ـ المحجة الأخيرة إلى الوطن ـ **يوسف عبد الصمد** 3

افتتاحية العدد: نستلّ أقلامنا ـ **مديرة التحرير: كريستين زعتر معلوف** 7

The Price of Freedom:
A Reading of Ghada Al-Samman's Beirut 75
Dr. George Nicolas El-Hage 11

الحسين بن الحلّاج ـ **سوسن حكيم** 28

وليمة للنار ـ **وليد شعيب** 34

لوحات.. الفنان سعيد هاني 36

إن مع العسر يسرا: مزمور الإنشاد المرادي ـ **أحمد مراد** 38

خذني إلى الديار/ دفتر الغربة ـ **د. جورج نقولا الحاج** 44

ما ظل في البال ـ **يوسف عبد الصمد** 46

New York (Poem)
Youssef Abdul Samad 54

رعشة الكلمات ـ **عمر خالدية** 65

أقلام مقيمة تستلهم أقلام مهاجرة
التقمص والنطق ـ **فؤاد بورسلان** 65

Rabitah Poets in Park: A monument to the Earlist
Arabic - Speaking Community in the united states
Linda K. Jacobs 68

تشظي الإنسانية في حبيبتي مريم
للروائية الدكتورة هدى عيد ـ **بقم د. منى رسلان** 70

شرتونيات (4).. من شعر وأفكار نبيه الشرتوني / وعد يتجدد 78

من كتابات وقصائد الشاعرة كريستين أبي نجم 80

مدخل

يوسف عبد الصمد

المحجّةُ الأخيرة إلى الوطن

منذُ ثلاثة أشهر وأكثر، سافرتُ إلى لندن مع زوجتي نورا وفيها التقيتُ الكاتب الجزيل الاحترام أحمد أصفهاني[1] واتفقنا على أن انصرف إلى إنجاز أعمالي الأدبية التي كنتُ قد تركتها قريبَ العشرين سنة، منصرفًا لأمور الرابطة القلمية الجديـدة بَدأً في العشرين من شـهر كانون الثاني سنة 2023، وها نحن اليوم على بعد خطوات من العشرين منه حين بدأت كِتابة هذا المقال، وعلى مكتبي الكثير من مسودّات أعمال «أقلام مهاجرة»، وبعض بقايا مسودات أُخـرى قـرّرتُ إكمالها قبل الموعد الذي وضعناه.

فـي لـنـدن أمضينا أسـبـوعًـا سعيدًا مع الأحفاد، والمتاحف والمكتبات، والحدائق العامة الخلاّبة.

بينما كانت نورا تمشي في الشارع الذي نقيم فيه التقطت صـورةَ لوحةٍ كتب عليها

المنزل الذي عاش به روبرت براونينغ

روبرت براونينغ عاش في هذا البيت 1887 إلى 1889 ومن هنا انتقل جثمانه إلى حيث يرقد وأرسلتها لي معلّقةً عليها:

(1) كان محض اجتماع عمل.

«لم يذكروا أحدًا من السياسيين العظام الذين عاشوا في هذا الشارع، بل ذكروا الشاعر فقط.

إنّها لتعزيةٌ بالغة للشعراء على تقدير الناس لهم بعد موتهم».

ومن لندن انتقلنا إلى البرتغال في «مدينة سينترا» نستكشف فلول أشجار التين والعنب والزيتون والصنوبر التي غرسها أجدادنا الأندلسيون، وكأن شجرة التين المزروعة في حديقة الفندق، كانت قد عرفت بقدومنا فأخرجتْ فُجّها تنتظرُ مجيئنا

واحدة من فلول أشجار التين

لنأكل منها ما نضج مدة إقامتنا هناك، عملاً بقاعدة «وغرسنا فيأكلون».

تناولنا غداءَنا مع رشفاتٍ من النبيذ الأخضر اللذيذ في أحد مطاعمها تخدمنا «سيسيليا» الكاعب الرشيقة القوام، الكبيرة الأحلام. عرفتْ أننا من نيويورك وتضاعف اهتمامها بنا.

غادرنا المكان، ذهبت نورا لشراء بعض الحاجات وتركتني أذرع الرصيف قرب المطعم وإذ بي أتفاجأ بسيسيليا البرتغالية تتقدّم مني وتقول: رجاءً خذني إلى نيويورك، ابتسمتُ متذكرًا أولغا ولينا بنفس المشهد في روما، منذ ثلاثين سنة تطلبان مني أن آخذهما إلى نيويورك من بلاديفوستك (الاتحاد السوفياتي آنذاك)، وفعلت.

أولغا التي أتت إليّ من حيث لا أدري في مطار روما. رأتْ في يدي باسبوري الأميركي، استوقفتني بكلِّ إصرار لمدّة عشر دقائق تقنعني بعذب وقوةِ كلماتها كيّ أخلّصها من سجن الثلجِ والحديد والنار الذي كان خلف الستار الحديدي وذلك حدث سنة 1989. وفعلت.

خفت من تقديم الطلب كون أولغا سوفياتية، لكني سرعان ما وجدت أن الدولة العميقة كانت رغبتها أكثر من رغبتي بكثير، حتى أكثر من رغبة أولغا نفسها بإحضارها إلى أميركا، ولقد اكتشفتُ ذلك فيما بعد

أولغا وأختاها مع صهرها، جميعهم أطباء.

في حفلة زواج أولغا

عندما تفكك الاتحاد السوفياتي.

القصيدة التي كتبتُها لأولغا، هي نفسها التي دفعت بالفتاة السعودية المحجّبة (أَروى ع. ز.) من الرياض كي تمزّقَ الحجاب عن وجهها بعد أن استأذنت أبيها (عفوًا يا أبي) في مقهى «الكوستا» البيروتي في وضح النهار، بعد آخر بيتٍ منها:

وحينَ نقّطَتِ الأزهارُ عن فمها
شهدًا، وقفتُ أردُّ النحلَ عن فيها

«رفعتْ عنها «أروى» ما رفعتْ وزاحتْ ما زاحتْ، لا لترينا حسن وجهها الذي كان كوجهِ ابنتي الصغرى بل لتنفذَ ببصيرتها إلى الأبعاد البعيدة رافعة عن عينيها الغشاوات كأوَّلِ انتفاضةٍ فتاتيَّةٍ بوجه الحجاب وفتاوى الحجاب»، لتؤكد لي أن القصيدة أو الشعر هو مفتاح التغيير في كل أمر عسير.

ما هذا السحر الهائل، لهذه المدينة، الذي يكهرب أسماع من يقع اسمها في أذنيه، أجبتها «بحاول. المتلك يا (سيسيليا) نيويورك بتجي لعندها ركضًا». مرّرت (سيسيليا) أناملها على خدي بكل لطفٍ وعذوبة كأنّها تمررها على أحد تماثيل المدينة التي لا تنام، ولها ألف عين وعين «نيويورك»، وانصرفتْ ضاحكةً من أعماقها.

ثم زرنا بيت «الكاتب» في أعالي الجبل، وهو بيت أرثر أغناطيوس كونان دويل (22 مايو 1859 ـ 7 يوليو 1950 المشهور لتأليفه لقصص المحقّق «شارلوك هولمز» التي تعدُّ معلمًا بارزًا في الأدب البوليسي.

في حفلة عرس فيليكس صديق إبني فراس، التي دُعينا إليها، (يا لها من صدفة جميلة). أن ألتقي بـ«السير داريك بلمبلي»، كان سفير بريطانيا إلى مصر، السودان، المملكة العربية السعودية، ومبعوث رفيع المقام من الأمم المتحدة إلى لبنان. تخرج من معهد شملان في لبنان

فراس يوسف عبد الصمد في بيت الكاتب الأسكتلندي أرثر أغناطيوس كونان دويل في سينترا البرتغال

مع السيد يورغين شروبوغ، سفير المانيا السابق لدى واشنطن، الذي كان قد اختطف مع أسرته في اليمن سنة 2005

وأستاذه كان **قسطنطين ثيودوري** الذي كان أستاذي، وكان يدرّسنا حصة الترجمة في الصفوف الثانوية. قسطنطين ثيودوري المُعلّم الذي لا أستطيع أن أمحوه من ذاكرتي، لشدة محبتي له.

نعم (يا لها من صدفة جميلة)

في سينترا، كنتُ أتمشّى حول الفندق متأمّلاً، متنقّلاً بين المكان الذي أنا فيه والزمان الذي عبر، مسترجعًا صورة الأندلس، وإذْ بنظري يَقعُ على صخرةٍ كالتي جلس عليها عبد الله الصغير بعد سقوط غرناطة. جلستُ عليها مثلما جلسَ، وبكيتُ مثلما بكى، «كالنساءِ على مُلْكٍ لم تحافظْ عليه الرجال».

بعدها، طرنا إلى بيروت لقضاءِ مدّةَ أسبوع وكان الخوفُ من المرض فيها هاجسنا الكبير نظرًا لانعدام أو تدنّي الخدمات الطبية والدواء.

وصلنا إلى بيروت، بيروت المفجوعةِ بخصائصها الرائعة، على أيدي من أدارَ شؤونها وشؤون الوطن. الذين أنشبوا

الأحفاد باين وميلا معنا في البرتغال

مخالبهم في جسدها، ومزّقوا عضمها بأنيابهم التي كأسنان المناشير، وأضراس الجوازير، وسرقوا حلاها، وتركوها عاريةً، مُثخنة، ممزقةً تنزف دمًا وتذرف دمعًا وتعرق خلاً وزيتًا. وعندما تماسكت وعضّت على جراحها، وراحت تستشفي، لم تجد في بنوكها، ولا في خزائنها، حتى في جيوبها الصغيرة دولارًا واحدًا تدفعه لشراء الدواءِ والكسوة. بيروت المنهوبة والمنكوبة على أيدي ملوك الطوائف والاقطاع على أنواعهم، كلُّ واحد على رأس طائفته أو إقطاعهِ كالواحد الأحد، يجلس فوق القناطير المقنطرة من الذهب والفضّةِ والماس، والشعب الذي عُرّيَ من كل شيءٍ جناه، بتعب يديه وعرق جبينه، أصبحَ محروق الأنفاس من الإفلاس.

لقد كان حريًّا بصانعي قرارات الوطن أن يحرسوا برموش الجفون حفظةَ تاريخ وتراثِ بيوتات بيروتهم العتيقة، وسدنةَ كعبةِ الحاجّين، من منشدين ومنشدات، وكونيين وكونيات، التي كِسْوَتُها (قبع الأخفى).

بعد أن صعدنا إلى الفندقِ مُتعبَين لم نستَطعْ إلاّ أن ننام. وفي الصباح نزلنا إلى شوارعها نتحرّى أبنيتَها الذليلة، وأحلامها القتيلة، وشوارعها ومشاتها، ونتقرّى ذكرياتٍ لنا فيها كنَّ عذابًا وصرنا سرابا. بيروتُ التي كانتْ فوّاحةً بعطور الحوانيت والدكاكين والمقاهي، أصبحت مدروزةَ الشوارع بقوز القمامة لكنّ رائحةَ البنِّ المحروق من «**مقهى يونس**» ودكّانته، وروائحُ مناقيش زعتر الضيعة، كانتْ تُفيض اللعاب وتطيّب الأنفاس. وحدها طغت على رائحة النفايا المشرورة هنا وهناك في الشوارع المشلولة.

أمّا المشي في الليل على أضواء مصابيح كهربائها مفتَّحَ العينَينِ وسيعًا، فقد جعلني أعثر في كل خطوتَين مرّةً تقريبًا. وعندما مشيتُ مُغْمَضًا على أضواءِ قناديل عيون بيروت، لمْ أعثرْ بحصى أو بحجر، ماسحةً ما كان في عَيْنَيَّ من كدرٍ وقذىً. بيروتُ المنكوبةُ والمنهوبة على أيدي زبانية النهب

والسلب وبعضُ أبنائها اللصوص، رأيتُها مطوَّبةً ومباركةً مجلّلة، **بمسرح المدينة** الواقف على قدم وساق، يتحدَّى بعناده الشعشعانيِّ الإبـداع، المتجدّد شبابًا، جحافلَ أعداء النور، وظلمات الديجور. ومكلّلة بالمسارح والمتاحف ودور السينما، والصالونات الشعرية والفكرية والأدبية المنتشرة في كل مكان حافظةً روح بيروت التي لن تموت.

أمّا الذي خفتُ منه ووقعتُ فيه، كان لا بدَّ من زيارة مستشفى الجامعة الأميركية، أعالَجُ فيها لأكثر من عشرة أيام والذي لم يستطع على شفائه الدواء، شفته الكلمات الطيبة، والمعاملة الفائقة والمهنية المضمّخة بعطر الإنسانية من قبل الفريق الطبي وكل الكوادر الذين تركوا في قلبي بصمات محبتهم وجعلوني أتمنى ألا أمرض إذا كان لا مفرَّ من المرض، إلاّ في بيروت فقط في بيروت.

أمّا الرجوع إلى الينبوع، إلى رأس المتن حيث كان فيها مسقطُ رأسي، صعدتْ بنا السيارة:

«كأنَّها بعضُ ذاتي لاحقٌ ذاتي»

لنجدَ أنفسنا محاطين بأهلنا وأصدقائنا المحبين، الطيّبين الشفّافين الطازجين كأوراق نعناعها، والفوّاحين كرياحين أحراشها البكر، الذين فرشوا لنا الأرض بالورد والزهر، فنام الساعد على الساعد، واصطدم الحب بالحب في مآدب الأهل وولائم الأصحاب التي جمعتنا بهم وأحسسنا أن صنوبرَها وسنديانها وصخرها وطيرها تنبّهت لاستقبالنا فجعلتنا نشعرُ «أنَّ من الضيعة ما يضوع ولا يضيع. الضيعة هي الروعة والغربة هي التربة».

«أنَّ من الضيعة ما يضوع ولا يضيع. الضيعة هي الروعة والغربة هي التربة»

عدنا إلى بيروت لنستيقظ على صداح ديكِ جريدة النهار، يصحّي الصباح بأعذب الشَجَن في صوته الحَسَن. أما سارقوها ومفلّسو أهلنا الطيّبين فقناطيرهم المقنطرة من سبائك الفضة والذهب والأوراق النقدية المهرّبة والمخبأة في مَغاورهم فستصبحُ كالمناقيش، طعاما للجرذان والخفافيش.

عدنا إلى أميركا معافين ممتلئين فرحًا وحنينًا إلى العودة للوطن حيثُ، ذِكرُ الصبا ومراتع الآرام، تنتظرنا بفارغ من الصبر وعلى أحر من الجمر.

يوسف عبد الصمد
عميد الرابطة القلمية الجديدة
في نيويورك.

إفتتاحية العدد

بقلم مديرة التحرير
كريستين زعتر معلوف

نستلُ أقلامنا

نحن، في القلمية، وفي أقلام مهاجرة ... نستلُّ أقلامنا ومنها!
ننزف على القراطيس
وما ينزفُ منّا ... يجترح ولا يَجرح
إذا كان لا بدَّ من ذِكْرِ أو تسميةِ الجارحة تكون؛
كالذي أُلقيَ بين الإنسان وأبيه، والأمِّ وبنتها، والحَمى وكنّتِها أو
كالذي أرجعه بطرس إلى غمده
وإذا كان لا بدّ من قواطع... فمن الطبيعي أن تكون الألحاظ، أوْ
سهام العيون التي تشقّ القلوب قبل الجلود.
حين نستلُّ أقلامَنا في ظلام الليل، فنحنُ لا نعرف النعاس ولا النوم
وحين نغمدها...
ترتاح إلى التأملِّ والتخيّلِ لما ينتظرها فيما بعد.
نحنُ في القلميةِ، وفي أقلام مهاجرة، إذا كتبَ أحدُنا ... فكلُّ واحد منّا كتب
إنّها رحلةُ القلم الذي به تعلّم من تعلّم
والريشةِ التي رُسمَ بها من رُسم
والوتر الذي به كان أوّل نغم، والإزميل الذي ما يزال ينحتُ في الحجر، ويحفرُ في
الظلِّ وفي الضوء

أقلامنا، وكلِّ أدوات ما يُبدعُ وما يُجترح هي نفسها المتقمّصة أقلام من سبقونا وحفروا وخزّنوا وادّخروا لنا مثلما نحنُ ننزفُ ونحفرُ ونختزنُ وندّخرُ للأجيال التي لم تولد بعد،

أقلامنا المهاجرة تحيا على خبزِ مدادنا، وماءِ حبرنا وجهد فكرنا وخيالنا.

تسافر بنا إلى أبعد ما يستطيع أن يصل إليه خيالنا بغير أجنحة وهي بين أنملنا دون أن نتزحزح قيد شعرة أو قيدِ أنملة

أقلامنا المهاجرة، وفراشينا، وأزاميلنا إنّها أبناء، أولاد وأحفاد من خطَّ أوّل حرفٍ من ملحمةِ جلجامش. ولوّن رسوم المصريين على صور آلهتهم المحنّطة، ونحتَ تماثيلَ آلهة اليونان والرومان والفينيقيين.

إنّها استمرار هذا البدعُ والخلق المبدعَينِ الخلاّقَينِ المقبلَين من الأزلية إلى الأبدية، مرورًا بحضارات الأرضِ الآخذة بِتثقيفِ وتطوير بني الإنسان.

حريصون نحن على ألاّ ندع أقلامنا تخطُّ وترسم خارج عالم الحق والخير والجمال. أقلامنا هي: أيقونات نفوسنا لا تحمل الأمر بالحرب، ولا بالسجنِ ولا بالإعدام حرقًا أو شنقًا أو... رميًا بالرصاص.

تكتب الشعر، ورسائل الشوق والحب، والحنين، وينقل شذى الورود والرياحين إلى الكلمات.

وكتبت: «حزب بنى مدرسة». وإذا خرجت عن سطرِ الحبِّ والسلام فإنّها تحترق وتحرق أصابعنا ونفوسنا معها. هذه هي أقلامنا التي هي نحن؛ في الفلسفة والفكر، والشعر، والتاريخ وفي كل ما يرتقي بمجتمعنا وبنا إلى ما هو أفضل.

ما هذا الحلف المقدس، والرابطُ العظيمُ؟ بين أناملنا وأقلامنا، وعقولنا ومخيّلاتنا.

نحنُ نجوعُ ونعطشُ وننعسُ وننام. تُتعبنا ولا تتعب! ولا تجوعُ، ولا تعطشُ، ولا تنعس، ولا تنام حتى لو سقطت من أيدينا

وإذا اضطرّت أناملنا أن تذهب إلى ما هو ملّحٌ وأولى، وسقطت من بين أناملنا! فإنّها

تستقرُّ على الورقِ، تنزفُ حبرًا أسودَ، أكثر احمرارًا من القِرمز.

فلنتبارك بأقلامنا المباركة بمعمودية الحق والخير والجمال.

The Price of Freedom: A Reading of Ghada al-Samman's Beirut '75

By George Nicolas. El-Hage, Ph.D.
Professor of Arabic and Comparative Literature

"Beirut has ruined me, that's all!"

"That's not true," he replied, "You women all accuse Beirut of ruining you when the truth of the matter is that the seeds of corruption were already deep inside you. All Beirut did was to give them a place to thrive and become visible. It's given them a climate where they can grow."

"She wondered to herself…if they had allowed my body to experience wholesome, sound relationships in Damascus – would I have lost my way to this extent?"

A sense of alienation, pessimism, and ultimate nihilism, which stems from al-Samman's existential viewpoint, envelops the main characters in *Beirut '75*. The protagonists (Yasmeena, Farah, Ta'aan, Abu'l-Malla, and Abu Mustafa) feel trapped, alone, and disconnected from each other and from society. Each character's personal struggle sheds light on some negative aspect of Lebanese society as seen by al-Samaan in 1975. Each character is exploited in some way, either sexually, politically or economically. Although these underlying evils of Lebanese society may have existed, al-Samman only shows a unilateral view colored by her own perception of reality. She fails to offer a multidimensional and more realistic view of the society at that time. In addition, she fails to successfully convey the depth of existential crisis that each of her characters endures, consequently resulting in characters that remain shallow and who do not convince the reader that their tragic demise is warranted.

The first chapter of the novel repeatedly foreshadows the characters' impending doom; nevertheless, the reader is still left with a sense of bewilderment at such an astonishing and violent end to an otherwise ordinary set of characters. Did they really merit such a catastrophic conclusion of events? Several reviews have been very critical of such a sensational conclusion, and some critics, as well as many readers, have been shocked and dismayed. The author loves to admit, though, that she herself was puzzled with this conclusion as she tries to justify it to the public:

> During the writing of this novel, its characters were simply leading themselves to their tragic deaths. I was constantly trying to stop them from doing this, but I was unable to. Although I created them on paper, these are live characters, and I do not force them to behave according to the critics' desires or even my own wishes. It was inevitable that I let them meet their death in the pond of violence in which they swim, the pond that is full of land mines and which is called Beirut... the recent events in Beirut proved the clarity (of my vision)...hence, the violence ... the explosion...

According to al-Samman, her characters were doomed because they were trapped in a "pond of violence," otherwise known as Beirut. Instead of finding hope and redemption there, they each become entangled in the socio-political issues of Beirut in 1975. From al-Samman's political and existential view, Beirut is viewed as a "fallen city," and consequently, not only its citizens but anyone who enters it is doomed to fail. For al-Samman, Beirut is Dante's hell, a place for lost souls with no hope of salvation.

Throughout the novel, the characters seem pathetic in their limited grasp of reality and in their inability to alter their catastrophic destiny. They seek a childlike and immediate fix to their problems. They do not grow, mature or ripen with experience. Rather, they succumb to their unyielding desires and destructive instincts. Their mad search for an immediate solution to their poverty, coupled with their uncontrollable passion for money and fame, prove to be a sure formula for disaster. But of course, they all blame Beirut!

Take Yasmeena, for example. Coming from a humble origin, she has been a Syrian school teacher in a nun's convent for the past ten years, and she journeys to Beirut only to escape her miserable life and an oppressive society. For her, Beirut is more a fantasy than a reality. It is Paris, Hollywood or Manhattan. She has already formulated her own simplistic version of how Beirut is and has a rather

ideal perspective even on the way love relationships in Beirut should be. A poet at heart and on paper, she entertains a beautiful dream of publishing her poems, but she fails to consider that becoming a poet comes with a dear price and a serious lifetime commitment. She cannot wait to arrive and pluck the fruit of fame and wealth that she imagines awaits her at the gate of the city of dreams. Yasmeena, like Farah, comes prepared to conquer Beirut, to "take it by storm." She assumes that the possibilities are endless and she is ready to do whatever it takes to overcome her humble origin and forget her poverty. With such determination, what could possibly stand in her way? How can she possibly fail? Although she has a lot to give, she is, nevertheless, naive, and lacks intellectual maturity, self pride and a sense of the historical reality that prevailed in the Arab world at the time. She is a failed Romantic and by no means a true representative of the Arab woman of her generation. As it turns out, the only thing that she is immediately ready to offer is her body under the pretense of love and marriage. She manages to silence her brother's voice and buy his pride with a monthly fine that she agrees to pay him to supplement his meager income. She falls victim to the same old tradition that she tries to escape and superficially deal with.

How did Yasmeena end up dead and mutilated at the hands of her brother? Was this the author's intent from the beginning? The author explains:

> I had decided, for example, that...Yasmeena…would become a prostitute...While writing the story, Yasmeena rebelled and decided to choose a life of poverty and confront society. She had something in her real character that made her take this path. She emerged out of the paper, stood over my lines and screamed in my face ... rebelling against my wrongful attempt to alter her private destiny which she can only chart.

Yasmeena remains naive, wrapped up in her own bodily pleasures trying to secure a life of comfort and wealth under the pretense of love and marriage to Nimr whom she had met only three months before and under unknown

circumstances. She naively, or cunningly, believes that pretending to be Nimr's mistress in bed, on a remote location on his yacht in the Mediterranean, will secure her a life of wealth and luxury and protect her against a background of poverty and monotonous employment. She even allows herself to believe, that after one hot night with Nimr, she can overhaul the prevailing social system in Lebanon by sweet talking Nimr into convincing his father to list the equality and freedoms of women among his priorities when he runs for parliamentary election. Her virtuous self awakening at the end comes only as a result of her being rejected by Nimr. And her tragic end comes when she no longer can pay to silence her brother's alarming sound of "honor" that was suddenly awakened when his pocket runs empty of Nimr's money.

Both Yasmeena and Nimr are guilty of using each other for their own self-serving purposes. In addition, Yasmeena, like Farah, is not a true representative of the thousands of Syrian workers who traveled to Lebanon in the sixties and early seventies seeking better job opportunities and honorably earning their living with sweat and labor. Had Yasmeena arrived in Beirut and shared a humble room with her brother, found an honorable job as a school teacher, continued to write poetry and pursued her dream of publishing a book, her destiny may have been quite different. Had she met Nimr under different circumstances, perhaps as a hardworking Arab woman who was trying to improve her lot and with it, the status of women in her society, we would have certainly identified with her and been extremely sympathetic to her tragedy. Instead, it is very difficult to sympathize with her plight the way she is introduced and from what the author reveals about her past and future aspirations. From the taxi that transported this average girl to Beirut, Yasmeena mysteriously jumps to an expensive yacht where she immediately plunges into a life of luxury and wealth. She is already fulfilling her dream and willingly offers her love to Nimr. She will initially do anything that will preclude her return to poverty and the suffocating environment in which she grew up.

It is important to point out, as Samira Aghacy does, that in the works of many Lebanese women authors writing around the same period, the protagonists who journeyed to Beirut experienced the city as a liberating force from their "… traditional community that is closely aligned with a rural mentality." They see "the city and the village in ontological opposition between repression and freedom, backwardness and progress, and past and present." Unlike Yasmeena and Farah, who become totally alienated, depressed and mentally disturbed, those protagonists saw the "nurturing city as a symbol of well-being, independence,

and freedom from shackles." However, al-Samman's two main characters fail to immerse themselves in the bounty of opportunities that Beirut had to offer. Although Beirut afforded them the appropriate escape from the tyranny of the past symbolized by their parents, stifling jobs and closed-minded communities, nevertheless, they were incapable of standing on their own in order to realize their potential. Instead of listening to their inner voice, they remained totally dependent on outside forces to secure the futures that they had romantically envisioned. Because they were motivated by the wrong reason, mainly personal "glory," and were driven by selfish dreams of wealth and fame, they ignored the call of their conscience to return to their villages or to get a job and make it on their own. They did not want to simply survive; they wanted to quickly become rich and famous. Yasmeena sought deliverance through Nimr, who is himself a slave to tradition, and Farah sold his soul to the devil, replacing his dominating father image with that of Nishan in total submission and "obedience." Instead of rejecting the authoritative figures that they had left behind, both Yasmeena and Farah simply replace them with a more corrupt and tyrannical symbol, thus failing to "define for themselves a new identity" and become part of a larger cause or community. Although in her published interviews, al-Samman clearly argues that sexual freedom is inseparable from economic, social and political freedom, her

characters, Yasmeena and Farah, do not strive to obtain the rest of their rights in order to become really free. Their struggle for identity and independence should have been waged on many fronts instead of being confined primarily to "the theme of sexuality, of the privilege of orgasm and self gratification." Based on her personal and existential reading of Beirut's climate at the time, al-Samman presents us with "a world view that fits [her] preferred self-interpretation." This results in characters who actively choose to use their bodies as a means of asserting their freedom instead of opting "for an effective public role and demand social and political rights." In the vast city, they actually capitalize on the liberating element of "anonymity" as an avenue for "unrestricted wandering, sexual freedom, and the pursuit of sensual gratification." Both Yasmeena and Farah want to be free and equal with the Beiruties. What they fail to consider is that through "work" and self- reliance rather than "sex," they could have achieved "personal growth and social development... [in this] existential city."

On a higher allegorical level, Yasmeena's obsession with sexuality, with Nimr's body and the discovery of her own appetite for sex and the pleasures of intercourse makes us wonder whether the author meant her to be a prototype of the deprived Arab woman throughout the ages. Suddenly, this new phoenix-like image, this modern Sheherazade, Yasmeena, comes forward to release this tension and serve as a spokeswoman for all her Arab sisters. Yasmeena declares:

> I love it [sex]. I became addicted to it. I longed for it. For twenty-seven years... I was forbidden to enjoy sex ...in my blood dwells the desires of all Arab women for the last thousand years...Away from Nimr... I run the risk of sliding deeper into insanity... My hunger for his body is more than a thousand years old.

Compare this with al-Samman's response to the question, "Who is Ghada al-Samman?" Al-Samman says: "I am an Arab woman from the desert. I am two thousand years old. They have attempted to bury me alive in the desert, but failed. They have killed me many times, and I would always rise from my ashes to fly... And write." Although al-Samman denies that Yasmeena in some ways represents her, there are striking similarities between the two. Both Yasmeena and al-Samman are viewed as "fallen women." Yasmeena becomes an outcast as a result of exercising her sexual freedom. Al-Samman becomes exiled for promoting a sexual revolution. Both are Arab women who become victims of a double-standard tradition that denies women their sexual freedom, while granting

men theirs. Yasmeena's and al-Samaan's sexual liberation comes at a very high price. In addition, in "Chapter One" of Beirut '75, Yasmeena's taxi ride into Beirut is almost identical to al-Samman's recollection of her own first journey into Beirut in 1964. Al-Samman writes about herself:

> I ride my car and depart from my quiet nest.. in Damascus, to Beirut, in order to chase my dream of freedom... Like a person goes towards his destiny leaving everything behind him and without noticing that he has just taken a decisive decision in his life...I carried my eternal dream of freedom...and I spread my secret wings that long to soar across the coastal horizon... Everything that is "I" in me, was drawn like a compass... towards Beirut, the freedom, Beirut, the dream... I shiver with love towards the unknown...as if it were yesterday...

The overlapping of autobiography and fiction continues as the story of Yasmeena and Farah unfolds and their feelings towards both Damascus and Beirut are revealed from the moment they ride the taxi until they arrive in Beirut, exposing further similarities with the author's sentiments, fears, anticipation and hopes. It is not coincidental that both the author and her characters arrive in Beirut on September 14th, the eve of the Feast of the Cross. The manner of description through which the author blends fiction and fact is unmistakable if one compares the opening chapter in Beirut '75 and al-Samman's details in an interview given on July 28,1983 about her arrival to Beirut. As she tells us about her feelings while she drives her car through the winding roads from Damascus to Beirut, we find it difficult to distinguish her voice from that of Yasmeena and Farah. She tells about her fear and panic as she hears the echoes of explosions of fireworks celebrating the Feast of the Cross across the hills of the Lebanese villages and sees the bonfires blazing on the hills and mountain tops. She is truly afraid as she is reminded of the consecutive series of military coups d'états that she endured in Syria and wondered in horror, "Does the curse of violence follow me wherever I go? Did the dream of freedom end even before it began, crushed like an ear of grain under the boots of a soldier?" She talks about how she had a flat tire that almost cost her her life on those winding, narrow and high mountainous roads leading to Beirut. Interestingly, the taxi that Yasmeena and Farah were in also had a flat tire.

There is actually more of al-Samman in Yasmeena's character than al-Samman is willing to admit. For both, Yasmeena and al-Samman, Beirut was their destiny, where they were determined to be free, independent, famous and

successful. Beirut was the genie at the beach, the land of endless opportunities that they both loved and yearned for. Al-Samman goes on to boast that even before Beirut had become a love lyric on every lover's lips and a topic of poetry, songs and international news, "Beirut was the title of my earliest books and even later ones... we had fallen in love with each other." Furthermore, both Yasmeena and al-Samman had been high school teachers in Syria, yet they both chose to abandon that profession since they found it stifling and unsuitable to their nature. Both were convinced that Beirut would give them the "opportunity to publish [their] poems in her newspapers." Both were obsessed with the image of flying. Yasmeena says, "My heart feels like a bird hungry to fly." Both loved music and were in a perpetual state of love. For Yasmeena says, "Music had always evoked within her a hidden store of mysterious emotions. She imagined herself to be a lover, not in love with anyone in particular, but in a perpetual state of amorous bliss, with a constant readiness to love, to suffer torment." Both Yasmeena and al-Samman desired a life of luxury. They both had a sense of adventure, and both decided to intentionally never look back. Al-Samman threw the flat tire away in a gesture to forget everything about her past. Yasmeena, likewise, vows she will not look back at Damascus anymore, saying, "Adieu, Damascus, adieu!"

In spite of this, it is Mustafa, the fisherman's son, who al-Samman admits represents her the most. According to the author, only Mustafa was able to achieve victory over his destiny by not searching for an individual solution and by not joining the group that was the reason for his misery. Instead, he committed to a cause, she says, to a collective effort in pursuit of justice, bread and happiness. Mustafa remains the only character with a vision and hope for salvation. He is able through his personal insight and intellect to bridge the vast gap between a Romantic quest and an existential destiny. He seems to have emerged with an imaginative power that allows him to alter his fate and that of his fellowmen to harvest a better future. However, it is rather ironic that all along, Mustafa did not even consider joining his "comrades" until after that fateful night of extreme sexual frustration, repeated masturbation

and shameful sexual intercourse between his parents in their small, crowded room where Mustafa is perpetually a forced witness to a rather humiliating and dehumanizing experience. We are left wondering about the genuine intentions and ambitions of this "intellectual" character/hero who overnight is transformed into a rebel and armed "with the will for struggle, which is alone capable of changing the world."

The reader is also left to wonder what kind of novel this is. Is it meant to be a psychological study, an erotic experience, a sociopolitical commentary, a historical novel, a suspense story or simply a fictitious journey? It certainly possesses all these elements without explicitly declaring one of them to be its major theme. However, I argue that *Beirut '75* is an existential novel that tries to divorce itself from the basic tenets of its own identity by adopting additional characteristics that color it but fail to deliver the protagonists to salvation. The tragic flaw of the characters is that they remain trapped between two worlds. They are primarily Romantic beings who set out on an existential quest that can only lead to disaster. From the taxi that carried them to Beirut, they embark on a quixotic journey, and each carries within himself his own seeds of destruction. They share the ride and the sense of calamity, but - with the exception of Mustafa - they remain alone and each a "stranger" to his fellow man and to humanity at large. While they are infused with the existential elements of despair, alienation and failure, they all lack two basic ingredients of Romanticism: hope and imagination. Hope can negate despair and alienation, while imagination can help turn failure into success. The Romantic imagination can redeem "fallen nature," presented here as Beirut, which cannot help itself. Imagination can redeem man, who can do it on his own, but who needs the impetus of an example. Neither one of these remaining characters is equipped to serve as an example or redeemer. Unfortunately, these particular characters are not endowed with such power; hence, the aridity of their vision and their suicidal fate. Even Mustafa's daring attempt to change the course of his destiny and, consequently, the destiny of others, remains suspect yet hopeful because the novel does not forecast or confirm the outcome of his new political stand.

Amid all this, Beirut remains silent and unable to defend itself against numerous accusations, some true and some false. Beirut is portrayed as a cruel, heartless, inhospitable and damp place, stripped of all of its positive qualities. We never hear in the novel that Beirut is the cultural capital of the Middle East and its intellectual and literary center. In this novel, Beirut's psychological and

spiritual climate rather parallels the surrealistic and existential climate that permeates Camus' *The Stranger*. The Beiruties remain voiceless, faceless, weak, marginal, and are described as being mostly corrupt and unpatriotic with anti-Arab sentiments. They are even ridiculed for conversing in French, which is ironically, the first language that the author herself learned even before learning Arabic. It is clear that al-Samman wanted to depict them as a distorted version of Eliot's "Hollow Men" who inhabit a "Waste Land," and not an elegant and hospitable city like Beirut. The manner of representation of the main characters to symbolize a whole society, and through it, a whole country, remains lacking. Moreover, the only character who was indeed, like Beirut, a "victim of circumstances" beyond his control, was Ta'aan. All of the other characters had the potential of changing the course of their destiny. They all had a choice to make and they made their choices, except Mustafa, based on greed, lust, pride, selfishness, self-glorification or inherent weaknesses and ignorance. These are all sins, and the characters, as human representations, should be held accountable for their choices.

Man as a thinking being can help make his own destiny, and effect a change in the circumstances that affect his life. The author herself has taught us this by her own example. Having a dream and selecting the right path to attain this dream can be two different things. We should accept responsibility for our decisions instead of blaming the "other." In this novel, the reader is forced to look at Beirut through the eyes of a cast of characters mostly foreigners: Yasmeena, her brother, Farah, Nishan, and even Abu'l-Malla, all inflicted with a strong sense of estrangement and a deep rooted desire to achieve fame and wealth at any cost even if it meant signing a pact with the devil and selling their souls. Some, like Nishan, have made a choice, good or bad, lived with it, accepted the consequences, paid the price, turned to an evil dictator and pervert, but without turning against humanity at large and without attaching the blame on friend and country. Others, like Yasmeena and Farah, gifted in many ways, plunder their gifts and capitalize on "body and voice" with an extreme sense of naivety and greed, to achieve wealth and fame. As for their basic humanity and emotional depth, they are certainly bankrupt. On the other hand, concerning their nationalistic commitment, political awareness, intellectual maturity and the ultimate socio-political causes in which they had a chance to get involved, and perhaps make a difference, these characters, other than Mustafa, show no genuine concern other than shallow lip service. These are "frustrated" characters "who attempt to escape the boredom of a too-sheltered

existence by launching into experiences on the fringe of social acceptability... who have chosen madness, sexual deviation, or conscious martyrdom in order to escape the stifling embrace of tradition...” They have a very narrow horizon and remain too self-absorbed in their own personal state of affairs and individual destiny, unable to embrace a more altruistic outlook.

The scene of the Israeli air raids over Beirut is a truly alarming one repeated twice while Yasmeena and Nimr make love on the yacht and while Farah roams aimlessly in Hamra Street in Beirut. According to al-Samman, only an animal, the monkey, feels the shame of the enemy airplanes allowed to fly over an Arab capital, while Yasmeena and Farah become troubled and reminisce about such times when they were visited by these evils and witnessed destruction and fear. Nimr and the inhabitants of Hamra go about their business as if nothing had happened. The author makes it clear that they had grown accustomed to such “visits,” and she criticizes them for doing nothing. While that may be the case, what she, however, fails to point out, and which is much more significant, is that the reaction from the rest of the Arab capitals was also mute and indifferent.

In *Beirut ‘75*, al-Samman pinpoints many of the evils that plagued Lebanese society which supposedly led to the civil war. We certainly agree with al-Samman that Lebanon’s social and political system embodied injustices and preferential treatments, but we also concur with Awwad’s observation when she writes: “Clearly, however, al-Samman’s personal feelings and emotions interfere with her intellectual grasp of important Arab issues, thus causing her to propound generalizations of dubious value and create a set of fairly nondescript characters.”

Al-Samman’s list of reasons for the war looks more like a Communist manifesto than a realistic representation of the complex causes of the war. What happened in Lebanon was not exclusively an internal civil strife between the rich and the poor, the Moslems and the Christians, in as much as it was, in reality, the wars of the foreigners and the Arabs fought on Lebanese soil. The author certainly knows this. Moreover, since al-Samman is primarily, even in her novels, a journalist, who tried to justify the causes of the Lebanese war to the press, it is befitting to quote from Ghassan Tueini, one of the most prominent journalists in the Middle East today. In a recent speech that he delivered in the country of Dubai, on October 7, 2003, Ghassan Tueini said:

> Part of Lebanon’s anger is because the wars of the Arabs with Israel,

as well the wars of the Arabs with the Arabs, while they ceased at the boarders of other countries, they still continue to be fought on its land. These wars were actually carried forward from its borders to its heartland and transformed it into an experimental playground (for death) and a battlefield for political liquidations. Lebanon has become the homeland of all revolutions and counter revolutions and the testing ground for certain political regimes and for its idle armies, the likes of which you know only too well. Lebanon has also become the substitute home for those rulers seeking to establish on its land false glories that they certainly do not enjoy in their own countries where the constitution... and moral values, have been taken hostage by militarism and hereditary republics… and you wonder, after all this, why my country Lebanon, is inhabited with anxiety and why its... body bleeds with what the wars have left behind, why its mind is perplexed and why it oscillates between its deep disappointment and its dreams of peace. Yet, in spite of all this, Lebanon remains and continues to be, the platform of freedom for all the Arab countries where in most cases, people continue to be hostages and victims of their own military regimes.

What Lebanon lacked was a strong central government, a military regime that ruled with an iron fist. This was obviously, but luckily, neither the destiny of Lebanon nor the will of the Lebanese people. Thus, in the absence of a strong army and a dominating political party, Lebanon remained weak, unable to defend itself, yet miraculously enduring. Ghada al-Samman's continuous involvement in writing about the war in Lebanon and scrutinizing its causes and effects, in analyzing it and making judgments about the Lebanese society, can only confirm Ilham Shoukry's observation that "The writings of the Syrian authors can only mean, in one way or another, that the Lebanese war is, after all, a Syrian affair." There is no Arab literature, in general, that primarily focused on the Lebanese war, hence, "al-Samman, a Syrian writer, appears absolutely exceptional regarding this point." No one can deny the underlying class struggle in Lebanon prior to 1975, but one must also remind all the critics who wrote about Beirut '75 and claimed it a "prophecy" that heralded the Lebanese civil war, and, supposedly, addressed all the evils and the causes of that bloody war, that this was after all a "regional war" having the root of its causes in the Arab - Israeli struggle and the massive and overwhelming military presence of the PLO in Lebanon that certainly tipped the balance of power and helped create a hostile environment not conducive to a peaceful coexistence. Even al-Samman herself admits,

“The Lebanese war, has no doubt, affected every artist and writer, Lebanese and Arab...since the Lebanese war has Arab roots and causes, it no doubt, has touched the conscience of every creative Arab mind...our Lebanese war is an Arab war that belongs to us all.”

Although on more than one occasion, al-Samman clearly states that she does not belong to a particular political party nor does she advocate a certain regime, yet it is obvious that she supports Arab nationalism and wants Lebanon, for example, to be a wholesome and indivisible part of a greater Arab nation from the Gulf to the Ocean. The author adopts a clear political stand and emphatically states, using the plural pronoun, “We,” wanting us to understand beyond any doubt, that she speaks for an obvious political ideology. Al-Samman says:

> We do not wish for Beirut to reclaim its previous position. We reject that everything returns to the way it was. We have offered tens of thousands of victims so that Beirut does not regain its previous status, but instead for her to have a future status with new foundations... We want to make out of Beirut a real center for Arab enlightenment... In the creative sense not only in the commercial sense ...We aim to play an Arabic role that goes beyond the role of serving as an excellent hotel... Our ambition is to create a new vision...”

It becomes evident that al-Samman’s “political stance... is one that calls for the unity of the Arab world through the awakening of a pan-Arab nationalism. She believes that the cause of Lebanese unity is inseparable from the creation of a unified Arab world.” This passionate political view, in spite of its glorious consequences, should it materialize, has certainly narrowed the author’s ability to come to terms with some of the underlying causes for the war in Beirut. Lebanon is, above all, an Arab country “which has been especially imbued with the spirit of modernity” and its contributions to the Arab cause and the advancement of the Arabic language, literature and thought are pioneering and unparalleled. Although she repeatedly praises the climate of freedom in Lebanon in comparison with each and every other Arab country, yet she seems to deliberately neglect the cause of this very free air that “she breathes” and goes on to reject Lebanon’s western complexions:

> ... I am also against Westernizing Lebanon, against partitioning it, and against the continuity of its decayed... political system, its unjust social class system, against the authority of the minority, whose interest

> is associated with imperialism, over the welfare of the majority of the laboring people... And against covering the just struggle of the Lebanese masses... with the masks of religious sectarianism and against the isolationist and suspect calls that confirm that Lebanon descends from a Phoenician mother and an American sailor from the sixth Fleet who passed on the shores of Byblos.

Lebanon's relationship with the sea is rather unique. It is really the ingenuity of its people that made the sea a vital extension to its borders. Perhaps the reason for Lebanon's constant staring westward towards the Mediterranean, instead of only looking eastward, is emotional rather than political. Let us remember that Lebanon is the only Arab motherland that has more children living across the ocean than those residing within its borders.

Although the novel explores many of the underlying ills of Lebanese society, it does not offer any plausible solutions. It focuses on portraying the dark, pessimistic and existential side of society rather than attempting to also balance the picture by shedding a positive light on the other side of Beirut: the city of education, art, tourism, music and poetry. Because of such intentional deficiencies, the novel remains a one sided representation without the benefit of presenting a multidimensional tableau that captures life in all its vitality, diversity as well as shortcomings, in a hospitable city that never closed its doors in the face of any visitor, Arab or otherwise.

Through her political stance, Ghada al-Samaan's identity crisis and existential viewpoint surface. She is clearly conflicted, yet she serves as an example of a Romantic character who has found a way out of her own personal "nightmare" and existential quest. If there is one character in *Beirut '75* who offers any real hope, it is Ghada al-Samman herself. Her autobiography proves that she was able to rise above her personal circumstances and write courageously. She chose to stay in Beirut and reach out to her fellow man and woman versus falling into suicidal despair. Her daring novel and lifestyle remain an example of hope for those who have none. Ghada al-Samaan will always be a lover of Beirut, and Beirut will always love her. On many occasions, al-Samman has proven to be more Lebanese than many of the Beiruties themselves. At moments of ecstasy and serious contemplation she writes:

> I will not leave Beirut... I am now racing with death, and because of this I try to write, I write as if I will die tomorrow...Beirut is the ... dream of the Arab writer wherever he was... a dream stabbed with daggers drawn

under various names and nationalities, just like Julius Caesar, it died ... and the Arab writer cries for her more than any other Arab citizen because it was the city of the free word in the midst of an Arab world whose love diminishes daily ... In Beirut the word roamed freely without a guillotine ... Beirut was always the home for artists and writers for the cursed and the exiled... It will remain a symbol for freedom...a dream that I chase but will never desert... I will not forget that she embraced me when every one else rejected me... I bear in my heart the loyalty and the dream."

References

(1) Ghada Samman, *Beirut '75.* Nancy Roberts, Translator. Fayetteville: The University of Arkansas Press, 1995, p. 54.

(2) Ghada Samman, *Beirut '75,* p. 55.

(3) Ghada Samman, *Beirut '75,* p. 95.

(4) Ghada Al-Samman*, Al-_A'maal Ghayr Al-Kamila, Vol. 13: Al-Bahr Uhakim Samaka (The Incomplete Works, Vol. 13: The Sea Tries A Fish)*. Beirut: Manshuraat Ghada Al-Samman, First Edition, 1986, pp. 112-13.

(5) Ghada Al-Samman, *Al- A'maal Ghayr Al-Kamila, Vol. 13*, pp. 112-13.

(6) "All ye who enter here, abandon all hope!" Ghada Samman, *Beirut '75,* p. 11. It is highly probable that al-Samman's personal and social doctrines were also influenced by the teachings of Dr. Dahesh (1909-1984). Between 1964 and 1975, the teachings of Daheshism were the subject of numerous articles in the Lebanese media. Interviews with Dr. Dahesh and his followers in Beirut permeated the Lebanese daily and weekly press. Since 1964, the year of al-Samman's arrival at the American University of Beirut, the Lebanese newspapers were circulating Dr. Dahesh's "prophecy" that clearly forecasted the downfall, even the destruction of Beirut. He warned that if the prevailing trend of injustices and inequalities were not reformed, the whole country of Lebanon, particularly Beirut, would become what al-Samman later called the "pond of violence." Among other teachings, Daheshism firmly teaches the belief in reincarnation and the equality between social classes especially among men and women. It demands for each individual, absolute freedom, equal opportunity and ultimate justice. After the completion of this article, it came to my attention that while living in Beirut in the sixties and early seventies, Ghada al-Samman in the company of her fiancée, later on her husband, had repeatedly visited the house of Dr. Dahesh and was well acquainted with him. She was also very familiar with his teachings and had even witnessed many of his miracles. If this holds to be the case, it becomes clear that the inevitable climate of gloom, destruction, and madness that al-Samman predicted for Beirut, and which was referred to by some critics, including the author herself, as a "prophecy" that heralded the catastrophic war, exactly parallels the teachings of Daheshism with which al-Samman was very familiar through her readings in the media and with her firsthand knowledge during her personal meetings with Dr. Dahesh himself. See Iskandar Shaheen, *Al-Duktour Dahesh Rajoul al-Asraar*. New York: Al-Daar al-Daheshiyya lil Nashr, 2001. See also Ghazi Brax's two publications: *Lights Upon Dr. Dahesh and Daheshism.* New York: The Daheshist Publishing Co., Ltd., 1986 and *Daheshism, A Spiritual Truth Attested by Miracles.* Beirut: An-Nisr al-Mohallek, 1972

(7) Ghada Al-Samman, *Al- A'maal Ghayr Al-Kamila, Vol. 12: Al-Qabeela Tastajwib Al-Qateela (The Incomplete Works, Vol. 12: The Tribe Interrogates the Killed Woman).* Beirut: Manshuraat Ghada Al-Samman, First Edition, 1981, pp. 198, 207, 234. Unless otherwise indicated, all translations from Arabic texts are my own.

(8) Ghada Samman, *Beirut '75,* p. 55.

(9) Samira Aghacy, "Lebanese Women's Fiction: Urban Identity And The Tyranny of the Past," *International Journal Of Middle East Studies.* Cambridge University Press, Vol. 33, No. 4, November 2001, pp. 503, 506-07.

(10) Samira Aghacy, "Lebanese Women's Fiction : Urban Identity And The Tyranny of the Past," *International Journal Of Middle East Studies.* Cambridge University Press, Vol. 33, No. 4, November 2001. pp. 503, 506-07.

(11) Hanan Ahmad Awwad, *Arab Causes in the Fiction of Ghadah Al-Samman (1961 - 1975).* Sherbrooke, Quebec, 1983. pp. 100-01.

(12) Ghada Al-Samman, *Al- A'maal Ghayr Al-Kamila, Vol. 12*, p. 320. Because of her "well balanced" social views, especially in her calling for women's rights without launching "a war against men" al-Samman has been extremely successful in promoting the cause of women across the Arab world. Her eloquent style, pioneering ideas and clear position that both men and women have been subjected to an unjust tradition, has earned her the respect of Arab readers, critics and writers alike. She enjoys a great following and is viewed as a leader of a movement that has already graduated many new writers. See for example the article about the new book, *A Black Cup,* by the Algerian poetess, Naseera Muhammadi, in www.assafir.com/iso/today/culture/16.html, January 22, 2003.

(13) Ghada Al-Samman, *Al- A'maal Ghayr Al-Kamila, Vol. 13*, pp. 50-51.

(14) Ghada Al-Samman, *Al- A'maal Ghayr Al-Kamila, Vol. 13,* pp. 50-52.

(15) Ghada Al-Samman, *Al- A'maal Ghayr Al-Kamila, Vol. 13*, p. 51.

(16) Ghada Al-Samman, *Al- A'maal Ghayr Al-Kamila, Vol. 13*, p. 52.

(17) Ghada Samman, *Beirut '75*, p. 7.

(18) Ghada Samman, *Beirut '75*, p. 7.

(19) Ghada Samman, *Beirut '75*, p. 6.

(20) Ghada Samman, *Beirut '75*, p. 92. See also Ghada Al-Samman, *Al- A'maal Ghayr Al-Kamila, Vol. 12*, p. 89.

(21) Ghada Samman, *Beirut '75*, p. 4.

(22) Ghada Al-Samman, *Al- A'maal Ghayr Al-Kamila, Vol. 12*, p. 322.

(23) Ghada Al-Samman, *Al- A'maal Ghayr Al-Kamila, Vol. 13*, p. 113.

(24) Ghada Al-Samman, *Al- A'maal Ghayr Al-Kamila, Vol. 13*, pp. 113-14.

(25) George Nicolas El-Hage, *William Blake & Kahlil Gibran: Poets of Prophetic Vision.* Louaize: Notre Dame University Press, 2002, p. 91.

(26) This is in complete contrast to the way al-Samman's relative, the famous Syrian poet, Nizar Qabbani, viewed Beirut. See Nizar Qabbani, *The Complete Works, Volume 2.* Beirut: Manshurrat Nizar Qabbani, First Edition, 1978, pp. 21-23, 38, 293-379, 719-797. See also *Nizar Qabbani: Sha'ir Likul al-Ajyaal (A Poet for All Generations)*. Edited by Muhamad Yousuf Najm. Kuwait:

Dar Su'ad al_Sabah Lil-Nashr Wa'l-Tawzi, Volume I, First Edition, 1998, pp. 360-64. See also *Nizar Kabbani: Arabian Love Poems.* Edited and translated by Bassam Frangieh and Clementina Brown. Colorado Springs: Three Continents Press, 1993, pp. xiii-xxxiv.

(27) Ghali Shukri, *Ghadah Al-Samman bila Ajnihah (Ghada Al-Samman without Wings)*. Beirut, Dar Al Tali'ah Lil Tiba'a wa'l Nashr, First Edition, 1977, p. 29.

(28) Hanan Ahmad Awwad, *Arab Causes in the Fiction of Ghadah Al-Samman (1961 - 1975).* Sherbrooke, Quebec, 1983, p. 31.

(29) Hanan Ahmad Awwad, *Arab Causes in the Fiction of Ghadah Al-Samman (1961 - 1975)*, p. 91.

(30) Ghada Al-Samman, *Al- A'maal Ghayr Al-Kamila, Vol. 12*, p. 214. See also Ghada Al-Samman, *Al-A'maal Ghayr Al-Kamila, Vol. 13*, pp. 113, 117.

(31) An-Nahar Newspaper, annaharonline.com/CULTS/PAGE6.HTM , Al-Mulhaq Al-Thaqafi, Sunday, October 12, 2003. Issue No. 21760, Year '71.

(32) Ilham Ghali, *Ghada Al-Samman: al-Hubb wa'l-Harb (Ghada Al-Samman: Love And War).* Beirut, Dar Al Tali'ah Lil Tiba'a wa'l Nashr, First Edition, 1986, pp. 17-18.

(33) Ilham Ghali, *Ghada Al-Samman: al-Hubb wa'l-Harb (Ghada Al-Samman: Love and War)*, p. 100. See also Hanan Ahmad Awwad, *Arab Causes in the Fiction of Ghadah Al-Samman (1961 - 1975)*, p. 30. See also Ghada Al-Samman, *Al- A'maal Ghayr Al-Kamila, Vol. 12*, pp. 47, 224. See also Ghali Shukri, *Ghadah Al-Samman bila Ajnihah (Ghada Al-Samman without Wings)*, p. 111, 121.

(34) Ilham Ghali, *Ghada Al-Samman: al-Hubb wa'l-Harb (Ghada Al-Samman: Love And War).* Beirut, Dar Al Tali'ah Lil Tiba'a wa'l Nashr, First Edition, 1986, p. 19.

(35) Ghada Al-Samman, *Al- A'maal Ghayr Al-Kamila, Vol. 13*, p. 82.

(36) Ghada Al-Samman, *Al- A'maal Ghayr Al-Kamila, Vol. 12*, p. 215.

(37) Hanan Ahmad Awwad, *Arab Causes in the Fiction of Ghadah Al-Samman (1961 - 1975)*, p. 116.

(38) Hanan Ahmad Awwad, *Arab Causes in the Fiction of Ghadah Al-Samman (1961 - 1975)*, p. 19.

(39) Ghada Al-Samman, *Al- A'maal Ghayr Al-Kamila, Vol. 12*, pp. 221-22.

(40) The reason why al-Samman chose to write about Beirut and Lebanon and not any other Arab country, al-Samman herself explains in *Al- A'maal Ghayr Al-Kamila, Vol. 13*, pp 56-57, "It is the impatience of some Arab regimes with the undomesticated word…Their continuous brainwashing…the long list of martyrs from among the writers…this ever-present censorship has succeeded in depriving me of writing some of the things that I want to say, and in forcing me to tear off some of my written texts…This is a sin that I try not to commit frequently."

(41) Ghada Al-Samman, *Al-A'maal Ghayr Al-Kamila, Vol. 13*, pp. 228-29.

الحسين بن منصور الحلّاج

سوسن حكيم

أبو المغيث الحسين بن منصور الحلاج، شاعر سنيّ فارسي الأصل، وهو واحد من اشهر الصوفيين وأكثرهم إثارة للجدل عبر التاريخ، توسعت شهرته وكان له أتباع كثر قبل خوضه معترك السياسة في البلاط العباسي، أعدم بتهم دينية وسياسية.

حياته:

ولد الحلّاج عام 858 للميلاد، 1207 هجري في بلدة تور، مدينة البيضاء الفارسية، ونشأ في العراق، وقتل وهو صغير السن. درس علوم الدين، وسلك طريق الصوفية، وتتلمذ على يد سهل التستري والجنيد وعمرو بن عثمان وغيرهم. وقد صحب مجموعة من المشايخ الصوفية أمثال محمد بن خفيف الشيرازي، وابراهيم بن محمد النصر أباذي، وقد قال فيه ابن الخفيف: «الحسين بن منصور عالم رباني». وقال عنه ايضاً: «إن كان الذي رأيته منه في الحبس لم يكن توحيداً فليس في الدنيا توحيد.»

ولكن علاقته الجيدة مع اعلام التصوف لم تدم طويلاً، فقد كان الحلاج شخصية ثائرة، يجاهر بأفكاره بين الناس على عكس الصوفية، الذين كانوا يكتمون مشاعرهم وأفكارهم، ويفضلون العزلة على الناس مما جعل الخلاف ينشب بينهم.

إن ميل الحلّاج للإصلاح جعله يخلع خرقة الصوفية، وأن يتنقل بين البلدان، يسمع للناس ويتحدث اليهم، وقد أعجب به العديد إعجاباً شديداً، ونسبت إليه جملة من الروايات الخارقة مما جعل البعض يرفعه إلى مقام الألوهة.

كان الحلاّج خلال تنقله في الأسواق

وبين الناس، ينتقد الأوضاع السائدة في عصره، ويعبر عن آرائه بطريقة لم يتمكن الناس من فهمها مما سبب له كره البعض وسعيهم الى تدبير المكيدة له، فاتهموه بالالحاد والزندقة، وحكم عليه بالاعدام، فجُلد، وقُطعت يداه ورجلاه، وأُحرقت جثته، ورُمي برمادها في نهر الفرات.

غلّف الحلّاج غموض كبير، وانقسم الناس ما بين مؤيد ومعارض له، ومع ذلك فقد كان ملهماً للأجيال على مر الزمن. ولا تزال تجربته الروحانية وافكاره الفريدة التي تجاوزت عصره وحولته إلى مدرسة ومنهج، تتمتع بنفس القوة والتأثير حتى يومنا هذا.

السلوك الصوفي عند الحلّاج:

بالإضافة إلى رسالته الربانية، كان الحلّاج مربياً واستاذاً صوفياً. ولقد التف حوله أكبر مجموعة صوفية في القرن الثالث الهجري الذي يعتبر عصر التصوف الذهبي. وقد انتشرت مجموعات حلاجية،اتخذت منهجه طريقاً ودانت له بالولاية، في كل مكان من بغداد إلى أعالي الهند.

لم يكمل الحلّاج تربيته الصوفية على أيدي المشايخ الكبار، فقد تركهم باكراً، وأكمل منفرداً التجربة الصوفية كاملة، والتزم القسوة والصرامة في ذلك. من هنا جاءت العلاقة القوية بين الحلّاج وربه، تلك العلاقة المؤثرة في حياته، والتي تجعلنا عند قراءتنا للحلاج نحسها في كلماته وأنفاسه فنرى اللّه جليسه أنيسه وحبيبه..... ويقول فيه المستشرق ماسنيون: «ليس هناك من متصوف في التاريخ اكثر عشرة مع اللّه من الحلّاج الذي يتصل في حديثه معه «أنا» و«أنت» و«نحن»، وليس هناك من شعر صوفي أشد حرارة وأكثر بعداً عن المادة من شعر الحلّاج.»

يبرز منهج الحلّاج بوضوح في آداب السلوك الصوفي الذي التزم بها اتباعه. ولقد حفظ ابو عبداللّه السلمي «المؤرخ الصوفي الكبير» البعض من هذه الآداب. يقول السلمي: «من ادابهم:

ـ ترك التدبير والرجوع إلى التسليم، قال أبو الحسين بن منصور «من طلب رضا اللّه حباه اللّه بالمكنون من سره، وهو قوله (ثم يستغفر اللّه يجد اللّه غفوراً رحيماً).»

ـ دوام التوبة مما عملوا ومما لم يعملوا، وقد قال الحسين بن منصور في ذلك: «التوبة مما لا تعلم تبعثك على التوبة مما تعلم. لأنه حرام على العبد الحركة والسكون إلا بأمر يؤديه إلى أمر اللّه.»

ـ الحضور وقت الذكر، ومجانبة الحضور وقت الغفلة، قال ابن منصور: «من ذكر اللّه وهو يشاهد غيره لا يزداد منه إلا بعداً،

ويقسو قلبه، ويكون مستدرجاً لا يهتدي.»

ـ ترك لفظ «أنا» و«لي» وما أشبه ذلك وقد قال ابن منصور في ذلك: «إذا قال العبد «أنا» قال اللّه تعالى: بل «أنا» وإذا قال العبد: لا بل أنت يا مولاي، قال المولى: بل أنت يا عبدي، فيكون مراده مراد اللّه فيه...»

ـ في معرفة الدواعي، قال ابن منصور: «داعي الإيمان يدعو إلى الرشد، وداعي الإسلام يدعو إلى الإطلاق، وداعي الإحسان يدعو إلى المشاهدة، وداعي الفهم يدعو إلى الزيادة، وداعي العقل يدعو إلى المذاق، وداعي العلم يدعو إلى السماع، وداعي المعرفة يدعو إلى الروح والراحة، وداعي التوكل يدعو إلى الثقة، وداعي الخوف يدعو إلى الإرتفاع، وداعي الرجاء يدعو إلى الطمأنينة، وداعي المحبة يدعو إلى الشوق، وداعي الشوق يدعو إلى الوله، وداعي الوله يدعو إلى اللّه، وخاب من لم يكن له داعية من هذه الدواعي!»

التصوف عند الحلّاج:

رأى الحلّاج إن التصوف ليس مسلكاً فردياً بين المتصوف والخالق فقط، بل هو جهاد في سبيل إحقاق الحق. كما أنه طور النظرة العامة الى التصوف، فجعله جهاداً ضد الظلم والطغيان في النفس والمجتمع.

اعتبر الحلّاج إن الانسان ينتسب إلى اللّه سبحانه وليس إلى العالم المادي الحيواني، بالنسبة إليه التصوف هو ارتقاء الإنسان إلى اللّه في سفر تفنى فيه الصفات البشرية، في الصفات الالهية، فناء طاعة وعبودية، وحب وشوق، ووجد وذوق. ينقسم السفر الطويل إلى اللّه بالنسبة للحلاج الى أربع رحلات تبدأ بالمعرفة وتنتهي بالفناء، والثانية تبدأ أنوارها والهاماتها، حينما يعقب الفناء البقاء، وفي الثالثة، يوجه الإنسان الكامل اهتماماته لمخلوقات اللّه مرشداً وهادياً، والرابعة قمة مشرقة، يحلق الإنسان في آفاقها وقد غمرته الصفات الربانية بالأنوار الالهية، فيصبح مرآة تتجلى فيها حقائق الكون وأسراره.

وقد عاش الحلّاج المعرفة الصوفية بروحه وقلبه وحسه، وقدّم نفسه فداءً لها في أسطورة خالدة لا تزال تبعث بأنوارها عبر الزمن.

إن تجربة الحلّاج الروحية تعتبر من أصدق وأخلص التجارب الصوفية، وقد عاشها بحب كبير ووهبها روحه، وهو يقول معبراً عن حبه ووجده:

اللّه يعلم ما في النفس جارحةً
إلا وذكرك فيها نيل ما فيها

ولا تنفست إلا كنت في نفسي
تجري بك الروح مني في مجاريها

إذا كانت العين قدح فارقتها نظرت
إلـــى ســـواك فـخـانـتـهـا مـاقـيـك

أو كانت النفس بعد البعد الفةً
خـلـقـاً عـــداك فـلا نـالـت أمانيها

لقد تعمق الحلّاج في السلوك الصوفي حتى فنى عن كل ما سوى اللّه سبحانه، وتطهرت روحه في كل ما لا ينتسب إليه جل جلاله، فصار في حال فناء كامل. وهو كان يرى أن التصوف هو جهاد متواصل للنفس، بالابتعاد بها عن متع الدنيا وتهذيبها بالجوع والسهر. وقد كان تصوفه مختلفاً وأكثر تعقيداً من أي تصوف آخر، وما ابتدع من مناهج في التفكير والتأمل والروحانيات هي كما يقول المستشرق الانكليزي نيكلسون: «لحظة جوهرية في تاريخ التصوف الإسلامي».

صلة الحلّاج باللّه

إن علاقة الحلّاج باللّه قد اتخذت شكلاً قوياً، وقد تكلم في اتحاد المحب بالمحبوب، اتـحـاداً يزيل صفة البشرية عـن المحب، باستبداله صفاته بصفات اللّه عز وجل، وقد ترافق مع هذا كلام في اللاهوت والناسوت لأول مرة في تاريخ التصوف.

قال الحلّاج: «رأيت اللّه بعين قلبي قلت من أنت؟ قال أنت.»

صلة الحلّاج باللّه تدور حول محورين: الحب القوي المذهل، والفناء الشامل في هذا الحب الى درجة ذوبان كل ما هو مادي دنيوي.

والمحب يعيش عذاب ملهم، هو يعذب في بحثه عن مولاه، ويعذب في حبه له، كما يعذب في حيرته حيال جبروته. والعذاب في الحب الإلهي أكبر خير يغدقه اللّه سبحانه على عبده ووليه الحبيب.

ويقول الحلّاج: «إعلم أن العبد إذا وحّد ربه فقد أثبت نفسه، ومن أثبت نفسه فقد أتى بالشرك الخفي، وإنما اللّه تعالى هو الذي وحَد نفسه على لسان من يشاء من خلقه».

إن الحلّاج هو أكبر من تغنّى بالحب الإلهي، وهو أكبرهم عاطفة، وأشدهم وجداً وولهاً. ويقول: «إن شهادة الحمد هي شهادة حب، وإن القلب الذي يعرف الحب لا يموت أبداً». إن عذاب الحلّاج في حبه، وفي صلته بربه لأصدق وأروع نماذج الإيمان الصوفي. لقد عـاش الحلّاج في وجـد وعـذاب، وفي سبحة علوية من الهامات حبه وشوقه. كما إن تجربته الصوفية في المعرفة الإلهية تميزت بالفرادة، وقد ابتدع منهجاً خاصاً به هو سره الأكبر، وجعل من الآلام شيئاً مقصوداً لذاته.

وهو يقول أيضاً في الحب الإلهي:

وأي أرضٍ تـخـلـو مـنـك حتى
تـعـالـوا يـطـلـبـونـك فـي الـسـمـاء

تـراهـم يـنـظـرون إلـيـك جـهـراً
وهـم لا يـبـصـرون مـن الـعـمـاء

إنه كما يقول المستشرق دي بور يحاول ان يتذوق بروحه ما يحاول المتكلمون والفلاسفة أن يصلوا إليه بالنظر العقلي.

ويقول الحلّاج في صلة الإنسان بخالقه: «من ظن أن الألوهية تمتزج بالبشرية، أو البشرية تمتزج بالألوهية فقد كفر، فإن اللّه انفرد بذاته وصفاته عن ذوات الخلق وصفاتهم، فلا يشبههم بوجهٍ من الوجوه، ولا يشبهونه بشيءٍ من الأشياء، وكيف يتصور الشبه بين القديم والمحدث، ومن زعم أن الباري في مكانٍ، أو على مكانٍ، أو متصل بمكانٍ، أو يتصور على الضمير، أو يتخايل في الأوهام، أو يدخل تحت الصفة والنعت فقد أشرك».

الحج عند الحلّاج

الحج رمز اتحاد البشرية مع اللّه، هكذا يعتبره الكثيرون في المفهوم الإسلامي. بالنسبة للباحث قاسم محمد عباس فإنه بمجرد تحول هذا الرمز إلى «حقيقة في المتصور الحلّاجي، لم يعد هنالك إيمان لشد الرحال إلى الكعبة بفهم أنه فعل تراجعي إلى ما قبل الإتحاد، وقبل الإتحاد كان ثمة إيمان سائد يدفع الحلّاج للانتقال إلى البيت بحثاً عن الإتحاد».

الحج عند الحلّاج، هو حج روحي، يفرغ طقوس الحج من محتواها الفولكلوري ويحطم الشكل الخارجي للعبادة الذي انغلق فيه الفكر الإسلامي. يقول الحلّاج:

«للناس حج ولي حج الى سكني
تُهدى الاضاحي وأُهدي مهجتي ودمي
تطوف بالبيت قومٌ لا بجارحةٍ
باللّه طافوا فأغناهم عن الحرم»

الحلّاج والمتصوفين في عصره

إن علاقة الحلّاج باللّه قد شكلت فلسفته الإيمانية والذوقية، التي عرفت بالحلّاجية، تلك الفلسفة التي طبعت عصر التصوف الذهبي بطابعها والتي أصبحت الراية التي تأتم بها العصور اللاحقة، والتي جعلت كذلك رجال الفكر الأوروبي، يطلقون على الحلّاج لقب «المفتي» في الأمور الصوفية.

كما إن صلته باللّه، طبعت

شخصيته التي جمعت بين العملاقية الجبارة والروحانية الحبيبة. تلك الشخصية اللغز، التي كتبت في التصوف الإسلامي أسمى آياته. جاء الحلّاج ليضيف إلى التصوف الإسلامي، أقام منهجاً، وفتح آفاقاً، وكان مثالاً صادقاً عن منهجه.

يقول الحلّاج: «الواجب على أولياء اللّه، أن يتوجهوا إلى اللّه وحده، ويتحققوا بمعنى العبودية الكاملة، ويطيعوا أمره مهما كلفهم ذلك من عنتٍ وشقاء».

يقول محمد بن سعدان: «خدمت أبا المغيث «الحلّاج» عشرين سنة، فما رأيته أسف على شيءٍ فاته، أو طلب شيئاً فقده».

بالنسبة للحلاج، الصوفي المحب لله هو الـذي يقوم بكلمات اللّه في الأرض، مجاهداً مناضلاً مضحياً بكل شيء، حتى تعلو كلمة الحق. وتمشي الإنسانية، على الصراط المستقيم. لذلك لم يرضَ عن زهد البسطامي، ولا تقية الجنيد، ولا سلبية المكي، ولا تردد الشبلي.

لقد ثار الحلّاج في عنف وفي قداسة، على ولاة عهده، وفساد عصره، على السلبية الزاهدة التي عاشها متصوفي عصره، الذين قنعوا بعبادة اللّه وحبه، تاركين واجباتهم تجاه خلقه.

كذلك لم يرضَ الحلّاج على زهد أبي يزيد البسطامي العنيف، فالوسيلة هنا بنظر الحلّاج ليست الأداة الكاملة، وهي ليست غاية التصوف أو سبيله.

إن الصوم والصلاة ليست طرقاً موصلة الى اللّه، بذاتها، كما أن الذكر لا يعتبر وسيلة تفرض النتيجة على اللّه سبحانه. إنما هو الحب، الحب هو الذي يقرّبنا إلى اللّه، الحب الذي يترافق مع التضحية الكاملة، ومع القيام الكامل بحق اللّه علينا في عبادته، وبحق اللّه علينا حيال عباده.

كما تحدّى الحلّاج الجنيد كثيراً كونه سيد الطائفة، وبيده الزعامة. وقد تعقبه في مساجد بغداد يطالبه بالخروج من سلبيته إلى إيجابية الدعوة الصوفية. وقد أوقد ذلك غضب الجنيد، الذي رمى بنبوءته الصادقة..... ستقتل! وضحك الحلّاج وتنبأ بأخرى صادقة أيضاً..... نعم وستمضي على قتلي!

لقد سما الحلّاج فوق العالم المادي، ونظر إلى مشارق الروح ورب الأرباب، ومن أشهر أقواله: «النقطة أصل كل خط، والخط كله نقط مجتمعة، فلا غنى للخط عن النقطة، ولا للنقطة عن الخط. وكل خط مستقيم أو منحرف هو متحرك عن النقطة بعينها، وكل ما يقع عليه بصر أحد فهو نقطة بين نقطتين. وهذا دليل على تجلّي الحق من كل ما يشاهد وترائيه عن كل ما يعاين. ومن هذا قلت: ما رأيت شيئاً إلا رأيت اللّه فيه».

وليمةٌ للنّار

وليد شعيب

أتى فصلُ الشتاءِ القارسِ هذا العام على كُلِّ ما يُوقَدْ، سائلاً كان أم يابساً، فالعاصفةُ الثلجيةُ تُحكمُ الحصارَ منذ ثلاثة أيام، قضَت على ما تبقَّى من ذخائرَ ومُؤنٍ! باستثناء قليلٍ من حبّات البطاطا والبصلِ وبعضِ أرغفةِ خبزٍ يابس!

العاصفةُ تشتدُّ، والزمهريرُ يزدادُ هياجاً، وعُواءُ الريحِ يعلو، ولسعاتُ البردِ أصبحت أكثرَ إيلاماً.

وأمام النافذة، قُبيلَ هبوطِ الظلام، وقفَ أبو علاء يُنَقِّلُ أنظارَه ما بين أولادِه المُتراصّين جنباً إلى جنبٍ، مُدَثّرين بِبَطانيّاتٍ رقيقةٍ، وبين السّماءِ الدّاكنةِ المُكفهرَّة، ما انفكَّتْ ترمي نُدَفَ الثلج بغزارةٍ دون توقف، كأنّما تُفرغ جامَ غضبِها على المكانِ أو على أهلِه، وربّما على كليهما معاً! فيتَمطّى الغُولُ الأبيضُ ويتعاظمُ ثقلهُ على صدر البلدة، حابساً أنفاسها، قاطعاً جميع طُرقاتها، وقاطعاً الأملَ من فَرجةٍ وشيكة!.

وبين حين وآخر، كان المسكينُ يُلقي إليها نظراتٍ حزينةً حنونة، فقد أحبّها وربّاها، يوماً بعد يومٍ، ورعاها كما يرعى أولادَه، فكانوا يكبُرون وتكبُر معهم. مكتبةٌ قيّمة، منوّعة، فيها كتبُ تاريخٍ

وليد شعيب

• مواليد 1959، سوريا، كاتب وقاص • مهندس مدني استشاري، خريج جامعة دمشق 1982 • باحث في مجال استخدام الحصويات البازلتية في الخلطات البيتونية • عضو مشارك بالمؤتمر العربي السادس للهندسة الإنشائية عضو جمعية أصدقاء البيئة • عضو جمعية أصدقاء الموسيقى • عضو مؤسس منتدى القصة القصيرة في محافظة السويداء • مؤسس مجموعة أبناء السنديان البيئية المهتمة بإعادة التشجير.

صدر له: تصميم مقاطع البيتون المسلح • شنفريات معاصرة (قصص 2006) • مذكرات باراميسيوم (قصص 2012) • تسفيحات أبي ذر العنداري (نصوص ساخرة 2017).

وسياسة واقتصاد، كتبُ فقهٍ ودين وتراث، كُتب أدبٍ وتراجم ونقد، كُتب شعرٍ وقصة ورواية، كُتبُ قوميةٍ واشتراكية وعلمية وغيرها. وحين أمعنَ النّظَر في وجه صغيرتِه الُمدلّلة المُزرقّ من شدّةِ البردِ، ورأى يديها الُمرتجفتين حسم أمرَه بسيف قراره القاطع والحاد، فوضع عدّة صُحفٍ ومجلات في موقد الآجر، فاغرِ الفَمِ، القابعِ في زاوية الغرفة، ثم أشعل عُود كبريتٍ ورماهُ عليها، وحين اضّطرمت النارُ راح يُصلي الكتب واحدا تلو الآخر، ولم يعبأْ لاعتراضِ أمّ علاءٍ، ربّما لم يسمعْهُ، فقد كان يُصغي إلى عُواء الريح الممطوط المريع، عبر شقوق الباب، مُنذرة باجتياح الغرفة! فقام وأحكم إغلاق الباب جيداً.

في البداية، كان يختارُ وجبةَ الكتبِ التي سَيُقريها للموقد، ثم يرميها في فَمهِ بسرعةٍ من غير مبالاةٍ، بعدها راح يتأمّلُ بعضَ الكتب، يُقّلبها بين يديه، يتصفّح بعضها، يهزّ برأسه، يبسمُ بسمةً حزينة، وترتسمُ على وجهه أماراتٌ مختلفة، لكنّه سُرعان ما أحجم عن ذلك، فَراح يُطعم النار أيّما وقعت عليه يداه، من غيرِ أن ينظرَ إلى الكتاب، خوفاً من أن يرى علاماتِ الرُّعب على وجهه، أو يسمعَ توسّلاته أو استغاثتِه فيشفقُ عليه، «لا عين تشوف ولا قلب يوجع»، لقد أحسّ كما لو أنّه يُطعم الموقدَ من لحمه. لا بأس! وهل كان يبخلُ بِلَحمهِ من أجل فلذاتِ كبدهِ!؟.

تأجّجت النيرانُ في الموقد، وراحت الكُتب تحترقُ فُرادى وجماعات، فهذا كتابٌ يشتعلُ، يحمرُّ، يغدو كالجمرِ، ويدوم لظَاهُ مدةً غير قليلة، فيبعثُ أُوارُه الدفءَ في أركان الغرفة، وفي الأجسادِ الصغيرة الجامدة الذاوية، لقد دبّت فيها الحياة والحركة من جديد. وهذا كتابٌ يحترق، يُفرقع، يُدخّن، ينثر شراراتٍ تلسعُ الأيديَ والوجوهَ، وسرعانَ ما يخمُدُ ثم يهمُدُ من غير ما دفءٍ أو لهبٍ أو ضُوءٍ!. وذاك كتابٌ يشتعل، يَسعُرُ، ويرسلُ ألسنةَ لهبٍ سَنيّة، تتراقصُ وتتمَايلُ وتلمعُ وتبرقُ بألوانٍ جميلة أخّاذة، صُفرٍ وحُمرٍ وخُضرٍ وزُرق، فتبعثُ السرورَ والبهجةَ في القلوبِ وترسمُ الفرحةَ على وجوه الصغار، وقد راحوا يتضاحكون ويطلقون عبارات التعجّب وصيحات الابتهاج وهم يلاعبون النار ويشاركونها في رسم الظلال المتحركّةِ الساحرة الممتعة على الجدران.

أمست السهرةُ رائعةً لا تُنسى، حُفرتْ في ذاكرة الأولاد، تناول خلالها الجميع البطاطا والبصل المشويين والخبز المحمّص واحتسوا أثمن وألذّ شاي في العالم! أُعِدّ على نار الفكرِ الوقّاد، واختمر على حرارةِ المعرفةِ المقدسة!

وكان الكتابُ الأخير، كبيراً، ثقيلاً، سميكَ الجلد، وحين أُلقِي به وسط المعمعة، أخذت النارُ كأنّما تَعُسّ فيه ببطءٍ، ثم انبعثَ منه دخانٌ كثيفٌ أزكمتْ رائحتُه الأنوفَ، ملأ الغرفةَ والصدورَ، فخَمدت النارُ وهمَدت حتى انطفأتْ! ولم يَعُدْ أحدٌ يرى أحداً، كما لم يَعُدْ يُسمعُ سوى تناوبُ موجاتِ سُعالٍ شديدٍ، وعُواءُ الريحِ المَمطوطِ عبرَ شُقوق الباب!.

Said Hany

Dr. Said Hany is a retired pediatrician, from Ras Al-Matn, Lebanon; living in Rochdale, NW England, UK. He has three children - Naysam (soul of the breeze), Nima (Grace/ prosperity, and Ramaya (the sound of gently falling rain, and four grandchildren - Aaliyah, Shara (old Arabic - beauty), Brody & Yara. His father won the BBC Arabic Poetry Competition in 1945 for the African Continent (he was in Ghana then).

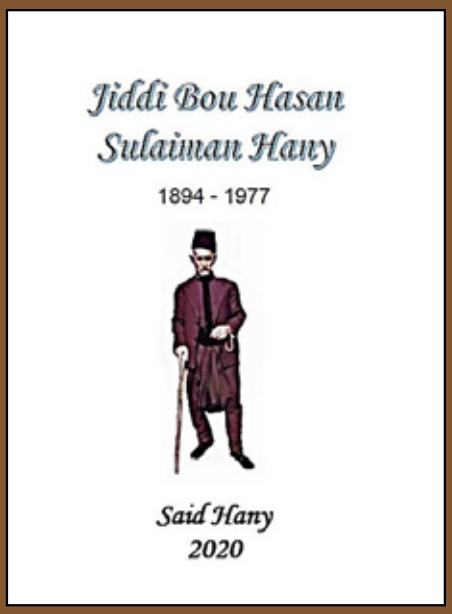

Sulaiman Hasan Qasim Hany (1894 – 1977) was my grandfather (jiddi) who was also my supporter, guide and best friend.
He taught me about care, charity, social contribution, friendship, and most of all, about love.
When I graduated from medical school, he said to me that I still need one more degree, a ***certificate of life***!
Thank you jiddi.

DRUZE TRILOGY

1- Philosophy

Said Hany

DRUZE TRILOGY

2- Theology

Said Hany

DRUZE TRILOGY

3- Genealogy

Said Hany

إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا

(مَزْمُورُ الْإِنْشَادِ الْمُرَادِيُّ!)*

أحمد مراد

كَمَا تَقَدَّمَ فِي (شُكْرٌ وَعِرْفَانٌ) وَ(الْإِهْدَاءُ) وَ(اسْتِهْلَالُ التَّقْدِيمِ)، فَالْكِتَابُ بِمُجْمَلِهِ؛ الْقَصَائِدُ خَاصَّةً مَدِينٌ لِمَا فَرَضَتْهُ جَائِحَةُ (الْكُورُونَا) مِنْ وَحْدَةٍ وَحَجْرٍ. وَكَمَا سَيَتَّضِحُ مِنَ الْقَصَائِدِ وَمُقَدِّمَاتِهَا، وَمِنَ الْمَقَالَاتِ، فَأَيٌّ مِنْهَا يَصْلُحُ لِيَكُونَ الْمُقَدِّمَةَ لِكِتَابٍ يَحْتَوِي حَصِيلَةَ مَا أَمْلَاهُ الْفِكْرُ مِنْ عِبَرٍ وَدُرُوسٍ مُمْكِنٌ اخْتِصَارُهَا بِتَجَارُبَ أَوْ عِظَاتٍ إِذَا مَا تَعَدَّتْ ذَاتِيَّةَ مَنْ كَانَ (ضَحِيَّتَهَا) لِتُصْبِحَ حِكَمًا تَتَخَطَّى وَاقِعَهَا وَزَمَانَهَا، وَمَنْ بِهِمْ وَعَلَيْهِمْ قِيلَتْ. وَإِذَا تَحَقَّقَ مَا تُوخِّي مِنْهَا، فَقَدْ بَلَغْتُ الْقَصْدَ، وَهَذَا الْمُبْتَغَى. وَحَقًّا قِيلَ: **دِرْهَمُ وِقَايَةٍ خَيْرٌ مِنْ قِنْطَارِ عِلَاجٍ**.

فِي حَدِيثِ (سَمَرٍ) عَلَى الْهَاتِفِ الْمَحْمُولِ- إِنْ جَازَتِ التَّسْمِيَةُ- مَعَ الزَّمِيلِ الدُّكْتُورِ عَلِي حَرْبٍ، كُنْتُ أَسْتَمِعُ مَا يُعَانِي مِنْهُ فِي وَحْدَتِهِ، وَكَأَنَّهُ يُعِيدُ عَلَى مَسْمَعِي صَدَى مَا أُحَدِّثُ بِهِ نَفْسِي عَنْ مَأْسَاتِي بِهَا وَبِمَنْ كَانَا جَائِحَةً وَكَيْلًا وَبِيلًا! وَمَا مِنْ شَكٍّ أَنَّنَا وَسِوَانَا فِي الْهَمِّ مُقْمَحُونَ حَتَّى الْجَمَاجِمِ. وَعَلَى غَيْرِ مَا اعْتَدْنَا، فَقَدْ أَنْسَتْنَا

(*) مُقَدِّمَةُ كِتَابِي (أَوْرَاقٌ مِنْ غَدِيرَ الذَّاكِرَةِ - 7 -) الصَّادِرُ فِي شُبَاطَ/ فِبْرَايِر 2021.

(الْجَائِحَةُ) وَلَوْ لِـمَرَّةٍ الْخَوْضَ فِي مَأْسَاةِ الْوَطَنِ الَّتِي (نَاشِتَتُهَا أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا)، لِنُبْقِيَ الْـحَدِيثَ حَصْرًا فِيمَا نُكَابِدُهُ... لَكِنْ يَظَلُّ عَلَى (شِدَّتِهِ) أَرْحَـمَ بِدَرَجَاتٍ إِذَا مَا قِيسَ بِمَا تَتَعَرَّضُ لَهُ أَوْطَانُنَا الْأُمُّ مِنْ مَآسٍ اخْتَلَطَ حَابِلُهَا الطَّبِيعِيُّ بِنَابِلِهَا التَّطْبِيعِيِّ!

مَعَ أَنَّ (حَدِيثَ السَّمَرِ) اسْتَمَرَّ طَوِيلًا، فَبَعْضُهُ كَانَ اجْتِرَارًا لِإِطَالَتِهِ. فَعِنْدَمَا يَتَعَذَّرُ اللِّقَاءِ، يُصْبِحُ الْهَاتِفُ الْـمَحْمُولُ أَوِ النَّقَّالُ أَوِ الْخَلْوِيُّ الْوَسِيلَةَ الْفُضْلَى لِلْإِحْسَاسِ بِالْبَقَاءِ وَالْوُجُودِ، وَنَوَدُّ لَوْ أَنَّهُ أَطْوَلُ، وَلَا نَرْجُو مِنْهُ فَكَاكًا. وَعَلَى مَا يَبْدُو، لَيْسَ فِي الْحَيَاةِ مِنْ جَدِيدٍ! فَمَا فِيهَا مِنْ أَحْـدَاثٍ وَأُمُـورٍ عَلَى رَتَابَتِهَا أَوْ جِدَّتِهَا هِيَ تَكْرَارٌ وَبَعْثُ نُسَخٍ حَيَاةٍ طِبْقِ الْأَصْلِ. أَمَّا الْحِكَمُ وَالْعِظَاتُ وَالدُّرُوسُ مِنْهَا، فَذَلِكَ مَتْرُوكٌ لِلشُّعَرَاءِ بِمَا يُنْشِئُونَ لِيَبْقَى تُرَاثًا لِلْأَجْيَالِ، وَمِنْهُ أَيْضًا يُقْتَفَى الْأَثَرُ. فَعَلَى مِنْوَالِـهِمْ وَنَهْجِهِمْ تَكُونُ لَنَا فُسْحَةٌ فِي (رِحَابِ الْقَافِيَةِ).

(حَدِيثُ السَّمَرِ) مَعَ الزَّمِيلِ الْـمُبْدِعِ الدُّكْتُورِ عَلِي حَرْبٍ لَمْ يَكُنْ مَخْرًا فِي عُبَابِ يَمِّ الْفِكْرِ وَغَوْصًا فِي أَعْمَاقِهِ فَحَسْبُ، بَلْ إِثْرَاءً لِلْمَعْرِفَةِ وَصَفَاءً لِلذِّهْنِ وَسَكِينَةً لِلنَّفْسِ وَطَمْأْنِينَةً لِلرُّوحِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ أَوْ قَبْلَهُ مَادَّةً دَسِمَةً نَثْرًا وَشِعْرًا لِتَكُونَ (الْـمُقَدِّمَةَ)ـ تُوجِزُهُ فِي حِكَمٍ وَعِبَرٍ وَدُرُوسٍ لِكِتَابِي... أَمَّا اسْتِلْهَامٌ مِنَ التُّرَاثِ! فَهَلْ مَرَّ الْـمُتَنَبِّيُ بِتَجْرِبَةِ جَائِحَةٍ شَبِيهَةٍ بِالَّتِي نَرْزَحُ تَحْتَ كَلْكَلِهَا! ثُمَّ كَانَ لَهُ مِمَّنْ ظَنَّهُمْ أَحِبَّةً وَأَصْدِقَاءَ مَا نَالَنَا مِنْ جُحُودِهِمْ وَنُكْرَانِهِمْ، لِيَقُولَ مَا غَدَا مِنْ أَرْوَعِ الْحِكَمِ، وَوَصْفًا لِأَتْفَهِ الْبَشَرِ، وَمِنْهَا:

كَفَى بِكَ دَاءً أَنْ تَرَى الْـمَوْتَ شَافِيَا
وَحَسْبُ الْـمَنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا

تَمَنَّيْتَهَا لَـمَّا تَمَنَّيْتَ أَنْ تَـرَى
صَدِيقًا فَأَعْيَا أَوْ عَـدُوًّا مُدَاجِيَا

لَا شَكَّ، كَانَ الْبَيْتُ الْفَاتِحَةُ فِي قَصِيدَتِهِ مِنْ سَاعَةِ مِحْنَةٍ، أَوْ حَالَةٍ نَفْسِيَّةٍ أَلْهَمَتِ الشَّاعِرَ بِمَا عَبَّرَ بِهِ عَمَّا يَتَعَرَّضُ لَهُ مَا أَبْدَعَ الْـخَالِقُ جَلَّ وَعَلَا وَصْفَهُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: ﴿**إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْـخَيْرُ مَنُوعًا**﴾. وَأَمَّا إِحْبَاطُهُ مِنْ مُلَاقَاةِ صَدِيقٍ، وَعَـيَاءُهُ مِنْ مُدَاجَاةِ عَدُوٍّ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي مِنْهَا فَسِيَّانِ. كِلَاهُمَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ أَزَلِيٌّ مُنْذُ مَأْسَاةِ ابْنَيْ آدَمَ وَحَوَّاءَ، وَأَبَدِيٌّ حَتَّى مَا يَشَاءُ اللهُ، فَلَا مَفَرَّ لِلْخَلْقِ مِنْ بِلَائِهِمَا.

وَهَـا أَنَـا ذَا بَعْدَ ذَيْنِكَ الظَّمَأِ وَالْـغَـرَثِ، أَسْتَذْكِرُ أَيْضًا قَوْلَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ الْكَرِيمِ الَّـذِي مَا فَـرَّطَ فِيهِ مِنْ شَـيْءٍ: ﴿**فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْـدًا**﴾. وَمِنْ (**حَدِيثِ السَّمَرِ**)؛ كَانَ لِي مَا كَفَانِي كِلَاهُمَا إِلَى حِينٍ، وَأَنَّ اللهَ يُمْهِلُ وَلَا يُهْمِلُ، وَشَاكِرًا لِاسْتِلْهَامِي قَصِيدَتِي (إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)، مُضَمِّنُهَا ذَاتِيَّةَ التَّجْرِبَةِ، وَمَأْسَاةَ حُلُمِ الْأَمَلِ الَّـذِي أَحَـالَـهُ التَّطْبِيعُ (الصَّهْيُو- خَلِيجِيُّ وَالْـمَغَارِبِيُّ الرَّسْمِيَّانِ) كَابُوسًا، مُقَدِّمَةً لِكِتَابِي:

الْـخَوْفُ مِنْ مَرَضٍ فِي الْبَيْتِ أَقْعَدَنِي
(كُورُونَ) تَفْرُضُهُ هَوْنًا عَلَى وَهَنِي

حَطَّتْ تُبَاغِتُنَا كَالْـمَوْتِ وَطْأَتُهَا
كَالْعُمْهِ فِي بَصَرٍ وَالْوَقْرِ فِي الْأُذُنِ

يَـا شَـرَّ زَائِـرَةٍ تَـبًّـا لِـمَـقْـدِمِـهَـا
مَا نَالَ مِنْ جَلَدِي قَدْ زَادَ فِي بَدَنِي

مَا كَانَ لِي أَمَلًا قَدْ صَارَ لِي أَلَمِي
يَنْسَابُ فِي مَهَلٍ كَالْبَنْجِ خَدَّرَنِي

مَا عَادَ يُؤْلِـمُنِي مَا حُمَّ مِنْ وَجَعٍ
سِـيَّانِ خَاتِمَـةٌ كَاللُّغْزِ تَتْبَعُنِي

إِنْ قَـدْ تُعَاجِلُنَا مِـنْ قَبْلِ مَوْعِدِنَا
فَالْيَأْسُ يَسْبِقُهَا مَهْلًا وَعَـنْ ذَعَنِ

مَا كُنْتُ أَحْسَبُنِي أَنِّي عَلَى كِبَرِي
أَجْتَرُّ ذَاكِرَتِي كَالْـمَخْضِ بِاللَّبَنِ

فَالْـهَمُّ تَـوْأَمُـهَـا كَالظِّلِّ رَافَقَنِي
وَالْفِكْرُ أَرَّقَنِي فِي هَجْعَةِ الْوَسَنِ

الْبَيْتُ مِـنْ ضَجَرٍ يَـبْـدُو كَمَقْبَرَةٍ
وَالتَّخْتُ أَوَغَرَنِي قَدْ صَارَ لِي كَفَنِي

مَـا كُـنْـتُ أَمْـقُـتُـهُ خَـوْفًـا أُحَـاذِرُهُ
قَدْ رُحْتُ أَحْسَبُهُ مِنْ أَقْرَبِ الْخَدَنِ

فَالْـحَجْرُ حَيَّرَنِي فِيمَا يُبَاغِتُنِي
كَالْـمُشْتَرِي عَبَثًا لِمْ يَـدْرِ بِالثَّمَنِ

يَبْقَـى بِذِمَّتِنَا مَـا طَـالَ مِـنْ أَمَـدٍ
دَيْـنًـا بِفَائِـدَةٍ كَالْغَيْثِ مِـنْ مُـزُنِ

سُـبْـحَـانَ خَالِقُنَا مَـا خَـطَّهُ قَـدَرًا
يَبْقَى مُلَازِمَنَا كَالْفَرْضِ وَالسُّنَنِ

خَـيْـرًا بِخَاتِمَةٍ يَلْقَـاهُ مُصْطَبِرٌ
مِنْ بَعْدِ شِدَّتِهَا تَمْضِي وَلَـمْ تَكُنِ

مَـا خَـابَ مُلْتَمِسٌ مِـنْ رَبِّـهِ أَرَبًـا
إِلَّا وَبَـارَكَـهُ فَـيْـضٌ مِـنَ الْـمِـنَـنِ

تِلْكُمْ مَشِيئَتُهُ فِي الْخَلْقِ مُذْ وُجِدُوا
لَا شَكَّ نَافِذَةٌ فِي اللِّينِ وَالْـخَشِنِ

فِي بِرِّ رَحْمَتِهِ لَمْ يَنْسَ مِـنْ أَحَدٍ
عَمَّتْ فَضَائِلُهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ

لَا تَبْتَئِسْ أَبَـدًا لِلَّـهِ حِكْمَتُهُ
فَالْعُسْرُ يَعْقُبُهُ يُسْـرٌ لِمُمْتَحَنِ

(كُوفِيدُ) زَائِلَةٌ وَالْقُدْسُ رَاجِعَةٌ
فَـ(الْـمَهْدُ)يَحْرُسُهَامِنحَمْأَةِالْإِحَنِ

وَالرَّبُّ بَارَكَهَا يَا (صَخْرَةً) رُفِعَتْ
فِي إِثْرِ صَاحِبِهَا الْـمُجْتَبَى الْقَمِنِ

تَبْقَيْنَ عَاصِمَةً حَتَّى وَإِنْ جَحَدُوا
لِلدِّينِ مَجْمَعَنَا وَالْـعِـزَّ لِلْوَطَنِ

إِنِّـي سَأُسْمِعُكُمْ شَـطْرًا بِهِ حِكَمٌ
مَنْ ذَادَ عَنْ وَطَنٍ بِالرُّوحِ لَمْ يَهُنِ

أَمَّا الْأُلَى حَنَثُوا بَاعُوا ضَمَائِرَهُمْ
فَـذَاكَ ذِكْرُهُـمُ رَوْثٌ عَلَى الدِّمَنِ

بِالْبِشْتِ قَدْ بَدَلُوا حِلْسًا بِهِ أْتَزَرُوا
أَمْسَتْ غَتَائِرُهُمْ لِلرُّكْبِ كَالرَّسَنِ

مَا عَادَ يُزْعِجُهُمْ بِالْعُهْرِ إِنْ وُصِفُوا
أَبْنَـاءُ فَاعِلَـةٍ، دَاعُـونَ لِلْفِتَنِ

النَّسْلُ مَخْتَلَطٌ وَالْأُمُّ وَاحِـدَةٌ
وَالْعِرْقُ مَنْبَتُهُ فِي الْأَصْلِ مِنْ دَخَنِ

أَمَّـا طَوِيَّتُهُـمْ، فَالْـغِشُّ مَعْدِنُهَا
بِالْخُبْثِ قَدْ جُبِلَتْ وَالْـمَكْرِ وَالضَّغَنِ

لَـوْ رُحْـتَ مُخْتَبِرًا أَيًّـا بِسِيرَتِهِ
لَمْ تَلْقَ مِنْ أَحَدٍ بِالْفِعْلِ لَمْ يَخُنِ

شُـذَّاذُ بَادِيَـةٍ دِيسَـتْ كَرَامَتُهُمْ
فَالْعَارُ مُدْرِكُهُمْ مَا امْتَدَّ مِنْ شَطَنِ

لَا الدِّينُ هَذَّبَهُمْ أَوْ رَدَّ مَسْلَكَهُمْ
لِلْحَقِّ يُرْشِدُهُمْ فِي مَنْهَجِ السَّدَنِ

عَـاثُـوا بِحُرْمَتِهِ، مَـا عَـادَ شَأْنَهُمُ
مَـا قَـطُّ عَـابَـهُـمُ مَـا قَـبْـلُ لَـمْ يَبِنِ

كَانُوا بِمَشْيَخَةٍ أَسْيَادَ مَنْ حَكَمُوا
صَهْيُونُ صَيَّرَهُمْ سِرْبًا مِنَ الْضَّأَنِ

لِلذَّبْحِ قَدْ جُمِعُوا، وَالسَّلْخُ يَتْبَعُهُ
وَاللِّصُّ مُنْتَظِرٌ بِالْوَقْتِ مِنْ لَدُنِ

مَا عَابَهُمْ أَبَـدًا إِنْ بَـانَ مَا سَتَرُوا
عَمَّتْ بَوَائِقُهُمْ كَالثَّقْبِ فِي السُّفُنِ

فَاللهُ ذَاكِـرُهُـمْ فِي قَرْيَةٍ خُسِفَتْ
ذُلَّتْ بِمَا فَعَلُوا بِالْأَهْلِ وَالسَّكَنِ*

تُخْتَـانُ أَنْفُسُهُمْ، أَعْمَالُـهُمْ حُبِطَتْ
بِالْفُسْقِ قَدْ قُرِنَتْ وَالْإِثْمِ وَالْعَطَنِ**

هَـذِي بَلِيَّتُنَا فِي طُغْمَةٍ حَكَمَتْ
لَا بُـدَّ يَعْقُبُهَا فَيْـضٌ مِـنَ الْـغَـدَنِ

شُـدَّتْ رِحَالُهُمُ لِلرَّعْيِ سَائِمَةٌ
فِي الْخِزْيِ مَحْشَرُهُمْ كَالْجُنْدِ فِي الثُّكَنِ

قَدْ خَطَّ شَيْخُكُمُ لِلْجِيلِ مَـأْثَرَةً
بِالشِّعْرِ قَافِيَةً ذِكْـرَى إِلَـى الْفَطِنِ

مَـنْ خَـانَ أُمَّـتَـهُ وَاهْـتَـاجَ مُنْتَشِيًا
أَبْـدَى حَقَارَتَهُ فِي أَتْفَـهِ الْمِهَنِ

مَـنْ ظَـنَّ فِعْلَتَهُ تُنْجِيهِ مِـنْ كُـرَبٍ
مَا نَالَ مِنْ وَصَبٍ قَدْ نَالَ مِنْ وَثَنِ!

لَا شَـيْءَ يُؤْلِمُهُ مَـنْ أَكْـلُـهُ كَـذِبٌ
وَالسُّحْتُ مَسْمَعُهُ*** وَالرُّوحُ مِنْ عَفَنِ

مَا طَالَ عُمْرُهُمُ فِي الْعَارِ مَرْتَعُهُمْ
إِنْ عَـنَّ ذِكْـرُهُـمُ فَالنَّعْتُ بِاللَّعَنِ

مَصِيرُهُمْ صَقَرٌ تُصْلَى جُلُودُهُمُ
مِنْ بَعْدِ عَيْشِهِمِ فِي الْخِزْيِ كَالْجَنَنِ

مَا عَاشَ طَاغِيَةٌ ـ هَذِي مُسَلَّمَةٌ ـ
إِلَّا وَعَاجَلَـهُ نَبْـلٌ مِـنَ الْقَرَنِ

الـدَّهْـرُ أَكَّـدَهَـا فِـي كُـلِّ مَرْحَـلَةٍ
وَالْآنَ أَشْهَدُهَا حَتَّى مَعَ الْهَدَنِ

لَخَّصْتُ حِكْمَتَهَا فِي مَتْنِ قَافِيَتِي
فِي شِعْرِ مُغْتَرِبٍ يَخْلُو مِنَ الْهَجَنِ

أُبْـقِـيـهِ تَـذْكِـرَةً إِرْثًـا أُوَثِّـقُـهُ
يَحْكِي مَآثِرَنَا مِـنْ غَـابِرِ الزَّمَنِ

لَا تَقْنَطُوا أَبَـدًا مِـنْ هَـوْلِ جَائِحَةٍ
أَوْ طُـولِ شِدَّتِهَا وَالْـبُـرْءِ مِنْ دَرَنِ

فَاللهُ يَعْصِمُنَا مِـنْ شَـرِّ عَـادِيَـةٍ
وَاللهُ يَحْفَظُنَا مِنْ عُصْبَةِ الْخَوَنِ

الْـمُفْرَدَاتُ:

الذَّعَنُ: الْـخُضُوعُ.

الْـخَدَنُ: الْأَصْدِقَاءُ.

حَمْأَةُ الْإِحَنِ: وَحْلُ الْمِحَنِ.

الْـمُجْتَبَى الْقَمِنُ: الْـمُخْتَارُ الْأَمِينُ.

رَوْثُ عَلَى الـدِّمَنِ: بَعْرُ الْـمَاشِيَةِ عَلَى مَكَبَّاتِ النِّفَايَاتِ.

الْبِشْتُ: الِاسْمُ الْـخَلِيجِيُّ لِعَبَاءَةِ الرَّجُلِ.

الْحِلْسُ: الْـخُرْجُ، أَوْ مَا يُوضَعُ عَلَى ظَهْرِ الْحِمَارِ لِرُكْبِهِ.

غَتَائِرُ، جَمْعُ غُتْرَةٍ: اسْمٌ خَلِيجِيٌّ لِلْحَطَّةِ الَّتِي تُوضَعُ عَلَى الرَّأْسِ لِلُبْسِ الْعِقَالِ.

أَبْنَاءُ فَاعِلَةٍ: أَبْنَاءُ عَاهِرَةٍ.

النَّسْلُ مُخْتَلَطٌ وَالْأُمُّ وَاحِدَةٌ: اقْتِبَاسًا مِنْ بَيْتِ شِعْرٍ للشَّاعِرِ الْعَبَّاسِيِّ عَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ: (قَوْمٌ إِذَا انْتَسَبُوا فَالْأُمُّ وَاحِدَةٌ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِالْآبَاءِ قَدْ كَثُرُوا.

الدَّخَنُ: الْغِلُّ أَوِ الْخُبْثُ أَوِ الْفَسَادُ.

ضَغَنٌ: حِقْدٌ

شَطَنٌ: حَبْلٌ طَوِيلٌ مُمْتَدٌّ.

السَّدَنُ: حُرَّاسُ الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَالْكَعْبَةِ الْمُشَرَّفَةِ.

الْضَّأَنُ، جَمْعُ الضَّائِنِ: غَنَمَةٌ أَوْ كَبْشٌ مِنَ الْغَنَمِ.

الْوَقْتُ مِنْ لَدُنِ: الْقَادِمُ مِنَ الْأَيَّامِ.

بَوَائِقُ، جَمْعُ بَائِقَةٍ: طَبْعُ النَّفْسِ مِنَ الْغَوَائِلِ وَالشُّرُورِ.

الْعَطَنُ: الْفَسَادُ وَالنَّتَنُ.

الْغَدَنُ: النِّعْمَةُ وَالْيُسْرُ.

لِلرَّعْيِ سَائِمَةٌ: قَطِيعُ مَاشِيَةٍ.

الْوَصَبُ: الرَّهَقُ وَالتَّعَبُ.

السُّحْتُ: الْمَحْقُ وَالْحَرَامُ.

فِي الْخِزْيِ كَالْجَنَنِ: كَأَمْوَاتٍ يَمْشُونَ فِي قُبُورِ حَيَاتِهِمْ.

نَبْلٌ مِنَ الْقَرَنِ: نَبْلٌ مِنَ الْجَعْبَةِ.

الْهَدَنُ: سُكُونٌ قَبْلَ الْهَيْجِ.

الْهَجَنُ: الْمُعِيبُ مِنَ الْكَلَامِ.

* اقْتِبَاسًا مِنَ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾. (النَّمْلُ ـ آيَةُ 34)

** اقْتِبَاسًا مِنَ آيَاتٍ كَرِيمَاتٍ: ﴿يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾، وَ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَهُمْ خَاسِرُونَ﴾، وَ﴿لِذَلِكَ نَبْلُوَهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسِقُونَ﴾. (النِّسَاءُ ـ آيَةُ107)

*** اقْتِبَاسًا مِنَ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا﴾. (الْمَائِدَةُ ـ آيَةُ42)

نُسَخُ كُتُبِي كَمَا عُرِضَتْ فِي
(جَنَاحِ بِيسَانِ لِلنَّشْرِ)
فِي (مَعْرَضِ الْقَاهِرَةِ الدَّوْلِّي لِلْكِتَابِ ـ 2019)
editormurad@bell.net
WWW.Ahmadmurad.com

وكان والدي متعهداً يمتلكُ مقالعَ الحجر الأصفر الجميل، يفجّرُ الصخرَ، يشذبه، ينحته، ويُعدّه إيقونة صلابةٍ لبناء البيوتِ، والمعاهد، والقصور، في شتي أنحاء لبنان. وكانت أمي ربة بيتٍ، ومربية البنين. وكنتُ أنا تواقاً للمعرفة والعلوم وقد كُتبَ عليّ السفرُ لتحصيل العلم، والحصول على شهادة تفتح ابوابَ المستقبل. وكنت في غربتي أصوغ الشوق أحرفًا وكلمات، أدوزنها على إيقاع وجداني، وأرشقها للنسيم قصائدَ حنين يحملها إلى الأحباب في المقلب الثاني.

الدكتور جورج نقولا الحاج

خذني الى ديارنا

اليكَ يا أبي
يا واهبَ الحياةِ للحجرْ
يا زهرةَ الجبالِ... والسهولْ
يا غنوةً
ببالِ مقلعٍ تجولْ
كتبتُ في عينيّ أنْ يعودَ
من غيابهِ السَفرْ...

لا! ما نَسَيتْ
لما حَكتْ عيناكَ لي
حكاية القمرْ...
وكيفَ في مواسم الحنانْ
بَنَيْتَ بيتْ
واصْطدتَ لي وإخوتي
جوانحَ الفرحْ
كسَوْتنا...وفاضت الدنانْ
من عطفكَ السّخيّ...
والقدرْ

عزيزي الدكتور جورج نقولا الحاج الفائق الاحترام،

إنَّ الحجارة التي ندّت بعرق كفَّي المرحوم والدك ثمّ أورقت وزهّرت وأثمرت على يديك بسهلك الممتنع وجديدك المتجدّد وستبقى أبنيةً بيانية تعجز عن هدمها أو هزهزتها رياح الشهور والدهور.

وما كتبته عن غادة السمّان التي وجدت لنفسها من بيروت ملاذًا أمينًا تمارس فيها ما تمارس من رغبات فكرية وأدبية وحياتية لقد عدتَ ونفخت في رماد ما احترق منها فالتهبت وأشعلت من جديد في بيروت التي لن تترمّد بل تبقى روحها عاصيةً على أشباح الموت والخوف والجنون.

إنّ ما كتبته ستتزيّن به «أقلامنا المهاجرة» مثلما تتزيّن وتتيه وتتباهى بمقالات ومبتكرات زملائنا الرائعين فيها.

واسلم إلى ما هو أفضل.

يوسف عبد الصمد

ما هَمّ...والزمانْ
من زندكَ الفتيّ
تصنعُ القدرْ...

عيناكَ يا أبي
صَقران من جبالنا
وغابتا صنوبرٍ...وغارْ
حكايتا رجولةٍ...وعنفوانْ
نهرانِ من ضوءٍ...ونارْ
ظِلان من ظلالنا
وواحتا صُوَرْ...

من غربتي
حيث الزمانُ حرقة انتظارْ
حيثُ العقمْ
والليلُ لا يضيئه النهارْ
كتبتُ لكْ
من حيث لا رفاقْ
ولا أبٌ...وأمْ
أشتاقُ يا أبي
الله كمْ أشتاقْ
لأخوتي...لِنشوةِ العِناقْ
خذني اليكْ
خذني الى ديارنا
أشتاقُ للديارْ.

دفترُ الغربةِ

يومَ ارتحلتَ وراءَ بحرٍ من رَمادْ
ووعدتَ أنْ: «سأعودُ. أنتمْ مُهجتي»
لا أنتَ عدْتَ...ولا شراع البحر عادْ
طالَ انتظارُ أبيكَ...عُدْ يا «رجْوتي.»...

وأنا الحزينةُ...لمْ أذقْ طعمَ الرّقادْ
منذُ ارتحلتَ...ولمْ أفارقْ غرفتي
أشياؤكَ الكانتْ مَلاذاً...واعتدادْ
بقيتْ عزائي يا بُنيَ...وسَلوتي...

عُدْ يا رجائي...أنتَ كنزي والفؤادْ
فأبوكَ شاخَ...وفارقتني همّتي
البستنا يا «فرحتي» ثوبَ السوادْ
أينَ العريسُ...لمنْ أغنّي غنوتي؟...

سأعودُ يا أمي وإنْ بَعُدَ البعادْ
وطني أبي...وضياءُ وجهكِ نجمتي
أعطيتُ كلَ مراكبي للسندبادْ
والبحرَ...والفرسَ السريعَ الخطوةِ
سأكونُ عندكِ قبلَ أيام الحصادْ
ومعي شهاداتي...ودفترُ غربتي.

يوسف عبد الصمد

«ما ظلَّ في البال»

«البدايات»

رحلة «ياس»(*) في الزمان والمكان كانت بدايتُها، سنوات عمرهِ الاولى من عام 1940 تاريخ ميلادهِ إلى أوائل عمر السبعين(**) الذي بلغه اليوم، مع المحطات الحياتية البارزة، والتغييرات السياسية والاجتماعية التي حصلت في «لبنان» وفي العالم الذي تنقَّلَ وعاشَ فيه.

(*) (ياس) (YAS) «هي اختصار Youssef Abdul Samad. لقد اختارته لي (ميوزاي) عندما كنا نمارسُ ما يشبه القداسة كي نصل إلى قمّة الترفان التي بلغنا ومكثنا فيها سبعة أشهر وكأنّها أطول من الدهر وأقصر من ساعة. كان بيننا من الأميال ما كان بين ضفاف الهدسن نيوجيرزي وسفوح الجبال الصخرية».

(**) «كنتُ قد بدأت كتابة هذه المذكرات سنة 2010 وتوقفت كي أصرف كل اهتمامي بتركيز الرابطة القلمية الجديدة التي سُجنتُ فيها قريب العشرين سنة حُرمتُ فيها من ممارسة شعري وأدبي لا سواهما».

بيتــه

هو الكلمةُ الاولى في قاموس (**من رأس المتن إلى برودواي**)،

ألقى الدهرُ على كاهلِه بهموم الآتي،

ويروي السكوت من حجارةِ جدرانه، تاريخَ مقالع الحجارة،

وتحتَ سقفِه الحاني

تضيقُ الغرفُ الواسعةُ على حكايا الآباءِ والاجداد، الحافلة بالكد والجد،

والمليئة بالافراح والاحزان.

أمّا ما عن يمينه من شجرٍ.. فهوَ بداية الغابة التي كانتْ مرتعَ طفولة «**ياس**»،

ورمزَ الصبر الجميل والعمر الطويل من عطاءِ الصنوبر، وصلابة السنديان...

وشرفتهُ التي تُطِّلُ على (خلَّةِ) الكروم الكريمة، تصلُ بناظريهِ إلى خطِّ الشفقِ المُنتهي على رؤوس جبال قبرص غرباً،

ويصطدمُ شرقاً بـ «جبل صنين» الناطح بقرنيهِ عنان السماء.

ومن سفحه تتنقوزُ بيوتُ القرى المتنية المرشوشة بين الغابات الخضر..

وتحت الشرفة مباشرة، بُقيا قليلة من شجر التوت، حلَّ محلَّه التفاح.

شجرُ التوتِ الذي لا يزال يحفظُ في ذاكرته مواسم العزِّ من دودة القزِّ

وشرانق الحرير التي شهدُها «**ياس**» في سني عمره الاولى.

هذا هو مكان البيت الوديع الذي ترعرعَ فيهِ وعاش على خارطة هذا الكوكب.

أمّا «**راس المتن**»، فهي الكلمة الثانية في القاموس

«رأس المتن» المُسندة رأسها إلى ركبتَي سلسلة جبال لبنان الغربية

ممتدَّةً حيثُ تلتقي قدماها عند ملتقى النهرين اللذين يشكِّلان معاً نهرَ بيروت، يسقي في طريقهِ حدائق الموزِ والبرتقال، ومزارع الخضار، ماراً من تحت «قناطر زبيدة» الرومانية،

إلى مصبِّه في البحر الابيض المتوسط.

وفي نقطةِ ملتقى النهرين التي تُسمَّى «نهر الجعماني»، ينتهي وادي «لامارتين» من الجهة الجنوبية، ويبتدئ وادي «بيت مري» و«برمانا» من الجهة الشمالية، مارّاً بـ «بعبدات»، «ضهور الشوير» واصلاً إلى «المتَيْن» و«بولونيا» شرقاً.

في هذه القطعة من الجغرافيا تقع أغنى بقعة حرشيَّة من كلِّ لبنان، المكتظة بالصنوبر والبلوط والسنديان، والبطم (الشعشوع) والبقس والملول، وعشرات الانواع الغريبة من الشجر الدائم الخضرة، وفيها من الزعتر والنعناع والقصعين والصَرْفَد والوزّال والرياحين مع الاشواكِ والاعشاب، ما يُغني عن كثيرٍ من العقاقير، ويفوق كلَّ عطور العطّارين رائحة.

هذا هو موقع ضيعة «رأس المتن» الجغرافي، الغارقة في أحلام اليقظةِ، والمتطلِّعة بعيونها اللامعدودة، إلى ألافاق السحيقة، واصلةً بتأملها إلى ما لا يصل إليهِ الخيال.

شتاء رأس المتن

كثيراً ما كانتْ (رأس المتن)، ترقدُ في فصل الشتاء ببيوتها القرميدية والترابية السطوح تحت الثلوج الكثيفة، يسارع الشبان والرجال إلى جرفها وحدل السطوحِ بعد الجرفِ بالمحادل الاسطوانيّة الحجرية الثقيلة، يجرّونها بواسطة المواعيص (جمع ماعوص) وهوَ عبارة عن قضيبٍ حديديٍّ مُطَوَّعٍ يضيقُ مكانُ قبضِهِ باليدِ أوْ باليدَين، ويتَّسع في رأسَيْهِ اللذَينِ يُمسكان بالمحدلة من فتحتَين في رأسيها بقصد الضغطِ على السقف الترابي ذهاباً وإياباً عشرات المرات منعاً لتسرّب الماء، وكيلا ترشف (تدلف) السقوف وتتلفَ الاثاث داخلَ المنزل، وكان جرف الثلجِ عن السطوحِ

والطرقات المؤدية إلى كل منزل من المنازل يتم بالتعاون بين شبّان القرية، مبتدئين ببيوت العجزة تاركين بيوتهم إلى آخر الجولات.

وفي الليل، وعلى أضواء مصابيح زيت الكاز والشموع قبل وصولِ الكهرباء إلى البلدة، كانت الناسُ تلتف حول المواقد الحطبية، فتقل الحركة، وتكثر البركة المخزونة في مسامن الدهن (القاورما)، ومعاجن الخبز المرقوق، وكوائر البرغل والعدس والحمص والقمح والفاصوليا وباقي الحبوب، وفي غوائر الزيت والدبس وتين المطبوخ والمعقود، ومربّى العنب، وفي أقراص التين المجفف والزبيب معيدةً إلى الذاكرة: «أسندوني بأقراص الزبيب، أنعشوني بالتفّاح فإني مريضةٌ حبّاً» (نشيد

الانـاشـيـد)، وفـي مراطبين مربى المشمش والسفرجل والـدراق، والبذنجان المكبوس بالخلِّ والملح، والمكدوس بزيت الزيتون والتوم والصنوبر، وفي قناني الخلِّ، وشراب الورد والتوت وزهر الليمون، مع الجوز واللوز والصنوبر الابيض محفوظةً في أكياسٍ قماشيةٍ محكمة اللفِّ، مع المقدَّدِ من اللوبياء والبندورة والكوسى والبذنجان، أمَّـا نار الوجاق، فقد كانتْ فاكهةَ الشتاء بلا منازع، وكان الجلوس قربها، حولَ طبق القشِّ المستدير المصنوع من قُضُب غمائر القمح الصفراء والملوّنة لتناول العشاء من قصعةٍ واحـدة، لَدليل قاطعٌ على تقارب العائلة والدفء والمحبة تمتد الايدي إلى الصحن الواحد معاً وتصعد معاً، قبل أن أصبح لكلِّ فردٍ صحنُه الخاص وحصتهُ، وتفرَّق الجمع، وتشتَّتَ الشمل، وضاعت الضيعة.

لقد كانت تلكَ الليالي الشتائية، غنيَّةً بكل أنـواع العافية في المآكل والمشارب، أضف إليها راحةَ البال في القراءة الجماعية للروايات التاريخية والادبية، والقصص المُشوِّقة المليئة بأساطير الاجـداد، يتخللها الشعر الحماسي كما في قصة الزير بن المهلهل، وعنتر العبسي، وعلي الزيبق مع بعض قصص ألف ليلة وليلة، ثمَّ المنجيرة الساحرة بجرسها الحزين الذي يقصِّرُ عمرَ الليل بمدّاتِ الصوت الرخيمة في الأوف، وأغاني العتابا والميجنا.

ومـن أفـراد الاسـرة أيضاً، الهرة الشقراء بصوفها الناعم تداعب وتلاحق ظلِّها تحت ضوءِ القنديل، وتلاعب (كبكوبة) خيطانِ الصوف التي كانتْ بها وبالسنانير تحوك الوالدة الكنزات

الصوفية وهي تتجاذب أطرافَ الحديث معنا دون أن تنظر إلى ماذا تفعل يداها اللتان تعودتا على الحياكة غيباً كأنهما حالة منفصلة عنها، تُدخِل النقوش المعقَّدة على الكنزة الملونة بالخيطان المختلفة، بغير عناءٍ أو إشكال.

ربيعها

على أغاني الطيور، ومعاء العنز، وثغاء الخراف. على أصوات الغدران ممزوجةً بأريج زهر اللوز والخوخِ والكرز في شهر آذار، كانت رأس المتن تستيقظ من نومها الشتائي مع يقظةِ الحقول بخضرة حبِّها النامي من قمحها وشعيرها وعدسها، وبعشبها وزهور مروجها الفوَّاحة.

في هذا الوقتِ من الزمان، تتفتّح براعم الكروم، وتبدأُ الاشجار بغزْلِ أقمارها وحملِ أثمارها، وتُخرج شجراتُ التينِ فُجَّها، وتستأنفُ دورةُ الفصول رحلتَها، والطيور بناءَ أعشاشها ووضع بيضها.

في هذا الشهر من السنة، يخرجُ الفلاح بنيره وأبقاره وسكَّته كي يحرثَ الحقلَ، والعاملُ بشوكتهِ ومعولهِ ليكسر اقفال الترابِ المغلَقة على كنوزِ الارض الطيِّبة، يسبقون الشمسَ إلى الحقول، والمساء يسبقهم إلى البيوت...!

يجري الـدمُ ويـسري الـدفءُ في عـروق التراب وفي أجسامِ الناس بعد البرد القارس والمكوثِ الطويل داخل البيوتِ، فتضجُّ الحياةُ بالنورِ والحرارة والحركة.

في فصل الربيع يكثر تساقط الامطار الغزيرة غاسلةً الارضَ من الغبار، منمِّيَةً الاعشاب والاشجار لتُشبعَ عطشَ الارضِ من جديد، وينام المزارع ويده على قلبهِ الطافح بالدعاء بألاَّ تهبَ العواصفُ على زرعهِ أوْ تضربَ حبّات البَرَدِ القاسية ما عُقِدَ من زهر شجره الذي يحمل كلَّ تعب يديهِ وعقود آمالهِ للموسم المُنتظر وفيهِ مؤونةُ العيشِ للايام والشهور المتبقية من عمر السنة.

بعد أن تكتسي الارضُ كاملَ اخضرارها وتصفو السماءُ وتهبُّ الانسـام من الاوديـةِ والمرتفعات، وتنطلق الفراشات بأشكالِها الاخّاذة في مهرجان الالوان عند الصباح، يقفُ الولد «ياس» الذي لم يكنْ قد بلغ الخامسة بعد، متأملاً سحر الوجود مأخوذاً بكلِّ ما يراه.. وما لا يراه، وبما يُسمع وما لا يُسمع، بما في اعماقه من أحاسيس ومشاعر وتساؤلات عمياء، يحاول أن يقرأ أبجدية الطلاسم

فتلتبسُ عليه الاشياءُ بأشكالها وألوانها وحركاتها وتحركاتها، فلا يستطيع أكثر من أن يمشي أو يقف أو يتسلق شجرة للكشفِ عن عشِّ بناه طائر، ويمدَّ يده إلى وكر عصفورة من نوعٍ آخر وضعتهُ في جحرٍ داخل حائطٍ، يركضُ خلفَ فراشةٍ سَحَرَتْهُ ألوانها ورشاقتها ويرى نفسه عاجزاً عن الوصول إلى البعيد، فالمكان الذي يسدُّ عليه الشفقُ الرؤيةَ كان بظنِّه هو نهايةُ المكان.

وفي الليل، وبعد أن يكتملَ قمر نيسان، وتتلألأ النجوم يستلقي على ظهره على سطح

بيته يتأمل ويتساءل ويحزن، ولا يدري لماذا؟

وبين عمق النجومِ وألـوان الارضِ وغناء الطيور وصمتِ الفراشات وسكوت السكوت، كان يذهب الولدُ بعيداً بخيالهِ حيث تغيبُ عن ناظريه الاشياء، اوْ ينعكفُ على التامل في ذاته التي تشغله عمّا هو منظور ومجهول، محاولاً الوصول إلى كُنهِ ما يَرى من خلال ما لا يُرى، ثمَّ يغفو ليحلم وليصل بالحلمِ إلى اللاحلم وباللاحقيقة إلى الحقيقة.

من هنا بدأتْ انطلاقة «ياس» الشعريّة إلى عالمٍ لا تنتهي أبـعـاده، ويحاول فيما بعد انْ يعبّرَ عن تصوراته أوْ يصور عميقَ أحاسيسه بالكلمات، ويستعينَ بأجنحة خياله تنقله إلى حيث لا يستطيع أن يصل به الماءُ والتراب.

صيفها

لمْ يبقَ من ذاكرة الحقول الكثيرة التي كانت تكتظُّ بالسنابل، غير عشراتِ البيادر الجائعة تذكِّرُ بأيام الحصاد من شهر تموز الحارق، وليالي السهر تحت ضوءِ القمر الضاحك، على النوارج تجرها الحيوانات وعليها الدارسون واقفين ينهرونها ويضربونها بالمهماميز لتجري، والجالسون معهم كنّا نحن نثقلُ النوارج كي تضغطَ على السنابل اليابسة وتسحقها وكأننا على زورقٍ يتزحلقُ فوق أمـواج بحرٍ هائج. بدايةُ الرحلة تكونُ صعبةً فوق أغمار السنابل المنثورة، ثمَّ تنعم وتنعم إلى أن تصبح هادئة سلسة لطيفة للغاية، وبعد يومين من الدوران بالنورج فـوق الاغـمـار يصبح البيدر جاهزاً لفصل الحب عن التبن حيث يُـذرَّى بواسطة المُذراة، والمذراة عبارة عن عصا طويلة لها شكلُ الساعد واليد بكفٍّ وأنامل يرفع الدارس بها اغمار القمح المدروسة، في الهواء، ويُفرِقُ النسيم اللطيف بينهما، فالقمحُ يسقطُ قريباً، والتبنُ يذهبُ بعيداً، الحبُّ يُعبَّأُ في الاكياسِ للطحن، والتبن في خِيَشٍ كبيرة خفيفة، علفاً للماشية في فصل الشتاء.

وفي خلال هذه التجربة التي كانتْ تتكرر طيلةَ شهر تموز، كانتْ تغنَّى الاغاني وتُرتجل الاشعار، وتطيبُ الاحاديثُ، قتلاً للوقت في متعة ركوب النورجِ التي ما بعدها متعة.

أما كروم العنب والتين...! (في شهر آب، إدخل الكرمَ ولا تستهاب) فحدِّثْ ولا حرجِ عن الصبايا حاملات السلال عند الغروب بعد أنْ تخفَّ حرارة النهار بميل الشمس نحو المغيب، يذهبنَ كي يقطفن ثريّاتِ العناقيد وأكواز التين اللذيذة، ويلتقينَ بالشبابِ المشتاقِ لأختلاس نظرةٍ أوْ بـوح شكـوى، إذْ كـان لقاء الشاب بالصبية آنذاك من المحضورات، فعندما تتلاقى العيون يطيب التغزُّلُ والتشبيب، وتتصاعد الانفاس، وتمتلأُ الامسيات بالمشاعر الجيّاشة والتنهُّدات، وكـانَ صاحبُ الصوت الجميل أوْ صاحب الموهبة الشعرية، أوفرَ حظاً واكثر حظوة عند حسان القرية من سواه.

وبعودة الصبايا حاملات السلال الملأى بالعنب والتين؛ ثمر التين بين أوراق التين، وعناقيدُ العنب بين أوراق الدوالي في السلال

بقصد حماية الفاكهة من الغبار، يسلكنَ الدروبَ الجانبية يستضفن من يصادفنَ في الطريق غريباً كان أم قريباً إلى أخذ بعض العناقيد من سلالهن المعرَّمات، عملاً بالعادات والتقاليد المتَّبعة عند أبناء قرى الجبل السخيِّين، أمّا نصيب العيون والينابيع فلمْ يكن أقلَّ شعبيةً من الكروم، فجلب الماء للمنزل من واجب النساء إذْ كنَّ يردنَ عند المساء كالغزالات بجرارهنَّ الفخاريَّة محمولةً على الاكتاف وفي الايدي وتحت الابط، تضيق بهنَّ الدروب، يلبسنَ الفساتين الملوَّنة الفضفاضة، ويُثرن شهيَّة الرجال بالنظر إليهنَّ ورشقهن بورد الكلام وغمز العيون...

وكان لساكني «بيروت» في فصل الشتاء، وللمغتربين من مواطني «رأس المتن» الذين يعودون في فصل الصيفِ إليها، حضورٌ مختلف تماماً عن أهل الضيعة المقيمين، فوجودهم فيها في فصل الصيف يُعطيها نكهة غريبة باعتبارهم يختلفون في أساليب عيشهم، وفي لبسهم وطرق مخاطبتهم المدينية، فكان من الطبيعي أن يكون لبناتهم وأبنائهم حضورٌ مميّزٌ ومحبَّب أيضاً، يختلفُ عن

حضورِ من يقيمونَ صيفاً شتاءً من أهلها فيها، فالمصطافون معاً، كانوا يخلقون جوّاً رأسمتنيّاً مشوِّقاً، وكانت رأس المتن تنتظرهم في كلَّ صيف لتبدّل بوجودهم نمطَ حياتها الرتيب.

خريفها

إذا كـانَ الـربيـعُ يُـزهـر والـصـيـفُ يُثمر، فالخريفُ يُنضجُ ويدَّخِر.

عندما تعتدل الحرارة وتميلُ الطبيعةُ إلى الذبول

تبدأُ الاشجارُ بخلعَ ملابسها ورمي أوراقها استعداداً لنومها الشتائي.

والخريف في رأس المتن كما هو في سواها من سائر قرى لبنان الجبلية، يجني المزارعون فيه ثمارَ أتعابهم في حدائق الفاكهة الجبلية من تفاحٍ وإجاصٍ للبرّادات، وعنبٍ للمعاصر حيثُ يطيب السهر حتى الصباح قرب نار (الخلاقين)... (جمع خَلْقِيْنْ، وهي عبارة عن وعاء نحاسيٍّ ضخم يُغلى فيه عصير العنب المصفى ليصير دبساً) التي يُصنع الدبس فيها، ومن بعده سَلْقُ القمح في نفس الوعاء ليُجفف فيما بعد ويُكسر برغلاً للكبى وللطبخ في الشتاء. أمّا رماد النار المشتعلة طيلة الليل والنهار (المار معون) كانت تُطمرُ فيه رؤوس البطاطا، والبصل، والباذنجان فتُطهى ببطء، توضع على طبق القشِّ مع الزيتون والخبز المرقوق حوله مجموعة المتواجدين يأكلونها أشهى من (شاتو بريون باريس، وروست بيف لندن).

ويحينُ قطاف ثمر الزيتون ليصير

زيتاً يرقدُ في دمّاجات الزجاجِ وغوائرِ الفَخَّار، بعيداً عن الضوءِ والحرارة.

وزيتوناً مرصوصاً ومسبَّحاً يتربَّع فيما بعد...

أميراً على طبقِ الفقراء، وملكاً على سفرة الملوك.

ورأس المتن المميزة بصنوبرها يدوم فرط وجمع كـروزه مـدة شهور الخريف وبعض شهور الشتاء حيث تجمع وتوضع على سطوح المنازل، وتأتي شمس الربيع لتفتِّح وتخرجَ قلوب الصنوبر السوداء منها ثمَّ تُكسر وتُنقّى القلوب البيضاء، فالكسر يذهب وقوداً للدفءِ، والقلوب البيض لمصانع الحلوى والمآكل الشرقية الفاخرة...

مـن كـلِّ هـذه الـزراعـات ومـا يتبعها من صناعات تتعلق بها، مع بعض موارد المال من المغتربين وبعض الحرف، كان مصدر عيش اهل «رأس المتن» الذين كانوا من الطائفتَين الـدرزيـة والمسيحية، وكـانـوا يتشاركون في العادات والتقاليد الدينية والاجتماعية مثل دقّ الجرس وتربيعه وكأنهم طائفة واحدة... طيّبون مؤمنون مسالمون، لا يعرفون الكلل او الملل في العمل، من أجل عيشٍ أفضل.

وكـان من حـظِّ «يـاس» أنَّـه شهد ومـارس معظم هذه التجارب القروية الممتعة، وعاشَ الايام الغنية، واستمتع بمنظر الحقول الممرعة التي لم يبقَ منها اليومَ سوى ما يُذكِّر بها، من بيادر ومـزارع أكلها الـشـوكُ، وشـوَّه وجهها الاهمال، فهربت منها البركة.

New York

By: Youssef Abdul Samad

Translated by: Dr. Mansour Ajami

The Great Separation

You were the dream
before you became the city
while I was
in the depth
of your parts.
Like those before me,
May they be blessed,
I came to be blessed by
their glory
in the homeland of exiles,
and of those exiled
in their homelands.

For them
your fire was lit,
and your voice called out
those like them.
I heard your voice,
I came.
Walls of water and hardship
had fenced you.

There you were! before me,
a tree of desires.

Your accessible fruits
were kept away from me.
I was hungry,
thirsty for a fruit.
When I put out my hand
and was about to pick one,
you whispered to me:
«Let the water of the deep
wash your hands and mouth
before you taste my fruit.
I refuse to belong
even to those who are
in my veins
unless they draw near me
with knowledge.

I am the one season
for all seasons,
I am the alphabet of languages,
and knowing me is love.»

Lock me up in a bud,
I will grant you my buds
that you waited for.
I promise you:
the letters of my name
will not injure you.
Let me sit in your shadow,
I like shadows.
I wish to move over
to the shadow.
I wish to live away
from light,
in the shadow.
'Do not leave me standing
so clearly
in the memory of mirrors
that I shall be forgotten!
Let me enter you!
Outside your walls
lie spacious prisons,
and the seconds devour the days;
Inside you lies freedom,
and time is lost
in its own seconds.

People suffer and
the earth sweats
so you can eat and
groom yourself.

Oh, how beautiful and splendid
is
the dress you wear!
How sweet are the feasts you
serve!
How beautiful are your
long-necked buildings
with their pendants
and necklaces:
herds of giraffes!
How pliable are your ribs!
They extend, bridges, tying you
to all your parts,
to your cities,
to other cities;
You, city of mutiple cities
in one.
Glory. be to you!
To you belongs what the earth
brings forth,
what the mills press.

To your body belong the best of
clothes and perfumes.
How beautiful is your bejeweled
neck!
How pleasant are your colors!
How perfect is the yield of
your hands and minds!
To you belongs the past
and its possessions,
the present
and what it possesses,
the future
and what it holds.
Blessed are you among the cities!
No funerals shall be held for you!
No elegies shall be read for you!
You wear a thousand faces
as if you were an eye
that knows no sleep.
O you, whose sleep
is forever slain.

The sun and the moon are one,
They do not set from
your sky.
The day and the night
race each other
in your days.
You have no end and
no beginning;
no before and
no after.

You are before, after,
the beginning,
and the end.
Were you to squeeze the depth
of the earth
and the dimensions
of time
into single oneness,
we would escape from you
to you
from what within you
from what is within us
from fear
and peril.
To you, we return
with longing
Sorrow
and joy.
Quietly, We tread
alongside death

in your rooms--
the cultures.
Thieves, killers, beggers
the blind, and dapper guests
inhabit your sidewalks.

They all await
the making of
the miracle
the wonder.
How perfect you are in your
opposites
and contrasts!
You are the funeral- wedding,
death- birth.

Take me to you,
so together we can walk
in silent land;
and on the sidewalks of time
we sit,
embrace,
and sip the wine
of ages;
and with apetite, joy,
and delight
we eat
all we desire.
As in the depth of a
harmonious embrace,
I slip under your cover
looking for warmth:
in subway cars,
where gardens of people
grow.
Subway cars that run
under your skin
to Downtown Manhattan
and Wall Street.
Looking for the beautiful others,
for radiant laughs crowding
leafless branches,
all pumping blood into the
arteries of land.
Were you to halt,
the earth would
fall.

I know you well
I love you well.
You are man
or woman
for those
who know you well.

The Great Exile

When your hand
and those of other nations
shared in the blood of
my country,
When you burnt my country,
I panicked,
I yelled in your face:
«I breathe, I feel,
and do not share
in anybody's blood,
but you do.

The heart of the city
is steel;
its body,
stones.
I distanced myself from you
to the great exile,
to the wasteland,
to Down Under,
where things are read
upside down,
where words become fish
and chickens,
where poems become farms
for bird and animal.
I would come to you
hidden in my clothes,
and with two of my friends,
I would roam your streets.
On the longest of your streets
I would ask my friends
to stop,
remember, cry,
and recite:
Halt! Let us weep and lament
over the memory of
youth
and falafel[1],
on Broadway, street of
old houses;
over the memory of
a beloved
whose memory sprouted in
my imagination
and blossomed on
my fingers.
Many a company of revelers,
if they sang,
eyes would well,
and tears would stream forth.
Abu 'l-Abbas'[2] would visit,
bearing news
more delicious

than the best of food;
news about his
many beloved.
He would cry,
and make us cry
over such farces.
A woman would greet him,
and in haste,
he would say:
"Are you content that your love
will surely kill me?»
We would ask him about his beloved,
pretending not to know,
then we would blame hin,
and laugh.
And pretty girls would visit us,
to eat
our food[3],
or our love.

In my exile,
In my self-exile,
exile from my homeland
and from you,
the taste of bagel,
pastrami with New York's pickled cucumbers
at Katz and Carnegie Deli,
would pursue me.
I would travel to you
for a fine dinner
at «Window on the World,»
forced to close by the bomb,
on the 107th floor
of the World Trade Center.
The world, beneath me,
my hands touching invisible
magnetic threads that tether
the globe to itself,
to the stars.
I would fly over for a warm sitting
in «Sign of the Dove» or in
"Tavern on the Green»
where clusters of light,
in splendid colors
hang down,
and only the eye
would pick the clusters.
I would crave sitting
with all my being
in the shadow of the
organ's sound
under the deluge of

infinite lights piercing the
stained glass windows of
the enduring wonder,
the church,
musing over the grandeur
of the church,
the nexus between
time and space,
the church of churches,
The Cathedral of St. John The Divine.

Return from Exile

In the wasteland,
In the land of Down under,
the manna that descended on us
from its desert sky
became a haunted favor,
and quails became swarms of
flying creatures.
We departed:
empty-handed,
But full-hearted.
Where would we go?
My country is on fire.
Rancor had killed my country.
Where would I walk, stop,
or step?
The whole earth under my feet,
after they killed my beloved,
is the size of a ball.
A playing ball is indeed
very small.

We returned to you
all love and passion.
We returned to the impossible
date,
to the shepherd who
lost us,
to the shepherd whom
we lost.
Silent hunger lay in our heart,
but the thirst in our mouth
yelled:
We strayed!
We were lost
in the wilderness,
in the desert!
But we returned.
Where is your bread,
your water?
There is no quenching of thirst
no satiety

without your food.
We live on your daily bread.
Spread your food.
Pour your drinks
for the returnees
from travel,
from exile.
Separation sickened us,
touch our hand
bless us
We will heal ourselves.
You are still
crucified
in the cold,
patiently
giving walkers
what they want.
You are still
soaking in water
flooding the worry of the ocean
with deep sleep
in your eyes.
Tell those who claim
to know you:
«You only know but one thing,
and many a thing was withheld
from you.»

I returned,
newly-born,
to our old love,
to my old notebooks,
to my old beloved,
to the beginning
from the beginning
to...
to you.

I search for my beloved
for my country
in your face.
In you awaken the dreams
of the beautiful
on earth.
They dream of your touch,
of a part of you,
of your moveable things,
of a bottle of perfume that
hides a part of you,
of gloves,
an umbrella from
your street vendors,
of silk scarves
from Saks FIfth Avenue,

or sandals from a store
on Madison Avenue.

The Russians Arrive[4]

After the country of ice
had broken up,
Olga and Lina
came from the
country of ice.
After long despair,
and longer waiting,
Olga and Lina
came out of the bondage
of the cold,
to the freedom of warmth
in the city.
I had met them
four years before,
One face on two bodies
One voice from two mouths
A woman and a mirror
Twins in one!
In Rome, they dreamed of you,
of coming to you.
Four long, short years later,
They awaken from
the absurd dream
in an impossible
awakening:
in your running streets
your chanting churches
in temples of art
in alters and
houses of learning
in dance and sex theaters
in concert halls
in evrything in you.
They try to uproot you
to carry you
to transport you
with your past
and your future
with what and who is in you
and on you
to their Vladivostok,
to the Russia
where the most beautiful of them
save what they do not eat
for an ornament from you.
They dream of your lights that
reach every darkness,
because, there, they are
under cover.

At the end of the day

when the day had fled from
its dying hours
from your buildings
from your bridges
from under and from
above your water
and from the smallest of
your parts;
In the final fading moments
of the day,
We, in the time machine,
while your skyscrapers
soared like
the tower of Babel.
Your people, disparate of
race,
color,
and tongue,
resemble the people
of Babel.
You look like Babel.
Your houses of justice are a part
of Babel;
The Babel that my country forgot
because its people did not
offer it
sex and bread.

In Princeton,
at the end of the day,
in the university chapel,
Four, of four different cultures
met, united by lust,
despair, and loss.
The sweet scent of a
Cedar of Lebanon tree
soaring on campus.
In the chapel's colored hall,
al-Razes and John the Dama-
scene
stood,
eternity behind them.
A plaque of gratitude for
the interpreter of history[5]
faced us,
and the bearer of the cross,
nails in hands,
stood,
filling the church.
All of them came from my coun-
try.
I almost screamed in the
face of those
who gazed at us:
You are strangers!
But they, they are

from my country.
There we were!
Four, from many places.
Mansour, who looked in every-thing
for something
he could not find;
Olga and Lina
poring over things
stationary but fleeing
forever from then.
The minutes and the seconds

dropped

like autumn leaves
from the tree of the day.
I am the fourth of the three,
empty-handed,
I try to seize the wind
looking for something new
under the sun,
for a retreat to retreat.
I look deeply into the faces
for things
hidden behind things,
for the city
behind the city,
for the face of
my beloved,
for my country,
and for...
to fill the void.

Notes

1- Amir's Falafel, the poet's own restaurant near Columbia University.

2- He is Dr. Mansour Ajami, scholar, poet, critic,musician, and humorous conversationalist. He has taught Arabic language and literature at Princeton and Columbia and other universities.

3- The late Monsignor Louis Risha and the poet would sit in front of the poet's falafel restaurant on Broadway and passersby, mostly women, would enthusiastically greet the poet. Father Risha would bemoan his situation and recite:

Those whom you never hoped
would ever greet you,
have greeted you.
Had it not been for your falafel
nobody would ever greet you.

4- Russian twins, who had dreamed of New York city all their lives and finally, and with great difficulty, managed to visit it and the poet.

5 - Professor Philip Hitti, who taught history at Princeton University for a long time. He founded the first Near Eastern Studies department in the country.

أستطيع ان اتقرّى
صورة العاصفة الآتية
للتغيير الكوني في
كلماتك يا أخ عمر.
أهلاً فيك في نادينا.

يوسف عبد الصمد

رعشة الكلمات

عمر خالدية

هل بإمكاننا السفر في اعماق البحار
بالكلمات ؟
هل لنا ان نسافر في أعماق الكون
بالروموزات؟
أكتبوا على قبور موتاكم
إنما الوقت فن الهمسات
والموت
رعشة الكلمات
ما كنت أعرف ان الكرمة خمرة
وجسدي مصهور كخارطة الأكوان.
في مكنون الوسادة
بحثت عن طفولتي الضائعة
بحثت عن ملح الفجر
فتشت عن روتوشات القافية
عن معان فيها تائهة
فتشت عن إنسان
في معاجم الفرضيات
فتشت عن إنسان يمشي على الأرض
بالكلمات .
أدلج بين المجرات
افتش فيها عن ماهيات
أم البدايات
أم النهايات
إختناق يتلوه إختناق
تمدد يتلوه إتساع
موجات ثم موجات
تعزف أنغامها
على فم القصيدة
أهذه نبؤات؟
ولمن هذه النبؤات
سأصرف عني المستحيل
سأصرف عني ما كان
وأقول لكم
ما لم يكن كان
ما لم يكن كان

فرجينيا الولايات المتحدة الأمريكية
2022/25/8

عمر خالدية:
• لبناني المولد والنشأة • درس علومه الثانوية في الكلية الشرقية ـ زحلة • درس القانون في كلية الحقوق ـ بيروت • ومن ثم إدارة الأعمال في جامعة توليدو أوهايو ـ الولايات المتحدة • هو الآن رجل أعمال يعيش في الولايات المتحدة • يهتم بالشأن العربي والأدب والثقافة والشعر • له كتابات شعرية متعددة نشرت في صحف لبنانية منها جريدة النهار، السفير وكذلك صحيفة بيروت تايمز ـ لوس أنجلس.

أقلام مقيمة تستلهم أقلام مهاجرة

فؤاد سليم بو رسلان

التقمص والنطق

يتكون كل كائن بشري من الثنائية: جسد مادي قابل للفناء ورح نورانية خالدة سرمدية. وتنتقل أرواح جميع البشر عند الموت إلى أجساد بشرية جديدة كما يعتقد الموحدون الدروز. ويسمى الجسد الجديد قميصًا وعملية الانتقال تسمى تقمصًا. ويتكرر التقمص عبر الدهور في حيوات لا تحصى وتسمى كل حياة (دَوْر) أو (جيل).

وبمرورها في الأدوار المختلفة تعيش الروح حياة الفقر أو الغنى أو حياة التعلم أو الجهل إلى ما هنالك من حالات صحية وجسدية واجتماعية. وهذا المرور المتنوع عبر الدهور هو بمثابة فرص وتجارب للنفس حتى يوم الحساب فيقام ميزان الحسنات والسيئات ويحاسب اللّه النفس التي هي الجوهر الشعشعاني عن جميع أعمالها السابقة بينما يكون مصير الأجساد أو القمصان الفناء بعد انقضاء كل حياة ولا عودة لذات الأجساد الترابية إلى الحياة مجددًا.

هناك نظريات أخرى تسمى التناسخ أو التماسخ أو التراسخ وبعضها يقول إن النفس يمكن أن تنتقل من جسد آدمي إلى جسد حشرة أو حيوان أو نبات أو جماد. برأيي أن هؤلاء المتقولون يجهلون قدسية النفس العاقلة التي خص بها اللّه تعالى الآدميين وحدهم دون سائر المخلوقات ليجري عليها الحساب يوم الدين. وحاشا اللّه صاحب العدل الإلهي (Holy Justice) أن يقيم الحساب على النفس العاقلة إذا انتقلت إلى أجساد بهيمية أو نباتية.

لا شك إن هؤلاء المغالطين ربما لا يؤمنون بوجود الخالق أو يجهلون تمامًا ماهية التقمص ونظرية العدل الإلهي.

يعتقد الموحدون الدروز أن التقمص هو واقع علمي لا لبس فيه لأن عمليات التنويم المغناطيسي التي أجراها بعض العلماء والأطباء على المتطوعين بطريقة الإيحاء للعقل الباطني أثبتت صدق الاعترافات عن مضامين حياتهم السابقة وذلك بعد التدقيق والتحقيق في سجلاتهم الحياتية الخاصة.

هناك كثرة من النوابغ بصرف النظر عن انتمائهم الديني قد أقروا واعترفوا بصحة قيام التقمص، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر الأديب الكبير ميخائيل نعيمه الذي روى في كتابه «لقاء» كيف يتم التقمص دون أن ترد كلمة (تقمص) عينها، وفي كتابه «جبران خليل جبران» يشير إلى أن جبران نفسه تقمص سبع مرات وفي بلدان متعددة.

ويقول جبران عن التقمص أن حياة الإنسان لا تبدأ في الرحم وتنتهي في اللحد بل هي حياة أزلية خالدة. ويقول أيضًا «فأنا كنت منذ الأزل، وها أنا ذات، وسأكون لآخر الدهر وليس لكياني قضاء». رفض جبران الفناء وآمن بخلود الروح وسعيها لبلوغ المثالية، فاعتنق

التقمص بالمفهوم الدرزي. وفي مقال «القشور واللباب» تحدث جبران عن الناس وتبين له أنهم مشغولون بمعرفة سطحياتهم وغفلوا عن رؤية أسرار الروح وما خفي فيها.

ولعل قصيدة الفيلسوف الطبيب ابن سينا الذي عاش في العصر العباسي عن النفس هي الأقرب إلى عقيدة الموحدين الدروز حيث يقول في مطلعها:

هبطت إليك من المحل الأرفع
ورقـــاء ذات تـعـزز وتـمـنـع
وصلت على كره إليك وربما
كرهت فراقك وهي ذات تفجّع

يذكرنا ابن سينا بوصول النفس من عليائها مكرهة إلى الجسد المادي بنظرية التقمص و(النطق) عند الموحدين الدروز. ولكن ما هو النطق؟

النطق هو نظرية عملية ربانية خصّ بها اللّه الموحدين الدروز لأجل ترسيخ إيمانهم بالتقمص. ويتمُّ النطق عند المولود الجديد في المرحلة المبكرة في بدء تعلمه الكلام حيث يتذكر أمورًا كثيرة الفتها نفسه في حياته السابقة فيقول لأمه مثلًا أنا أريد أن أعود إلى بيتنا في الشويفات وهذا البيت ليس بيتنا وانت اسمك نجاة وأمي اسمها سلمى وقد يطرح أسئلة كثيرة عن أمتعته الخاصة وسيارته إلخ. وبعد الإلحاح اليومي يطلب من أهله أن يأخذوه إلى أهله في الحياة السابقة وهو يرشدهم إلى موقع البيت فيدخله ويسلم بشوق وحنان على أمه وينادي إخوته بأسمائهم. وهناك أمثلة لا تحصى ثبتت صحتها عند الأهل في دورة الحياة السابقة والدورة الجديدة.

لا غرابة في مبدأ النطق لأن المعايانات دلت أن من ينطق هو الذي يموت أثر حادث مفجع أو بالقتل عمدًا لأن النفس ههنا تفارق الجسد مكرهة مفجوعة وملتاعة بسبب فراق الأهل والأحبة وهذا ما عبر عنه ابن سينا أيضًا ووصفه في البيت من القصيدة:

تبكي إذا ذكرت عهودًا بالحمى
بـمـدامـع تـهـمـي ولـمـا تقلع

وكون النفس جوهر روحاني مقدس من فيض العقل الكلي الذي أبدعه اللّه، فيسبب لها الموت المفاجئ فاجعة الانسلاخ بصدمة صاعقة (Destined shock) تجعلها تنقل معها مشاهدات حادث الموت وسبب القتل وهوية القاتل إذا كان القتل عمدًا. لذلك، فهي تبكي بعد الانتقال بالتقمص لأنها تتذكر (عهودًا بالحمى) من الماضي القريب.

إن موضوع النطق علمي ميداني قابل للنقاش، وليس بدعة كما يقال، أو من نسج الخيال كما يدعي غير المؤمنين بحرية المعتقدات الدينية. وقد يحدث النطق عند غير الموحدين الدروز، لكن غالبية القيمين على تربية الأحداث يعتبرون النطق هلوسة أو هو من حكايات الجن. وعوضًا عن زجر الطفل الناطق واسكاته نقترح اعطاءه فرصة تعريف وتوضيح ما تنقله النفس معها من ذكريات الدور السابق.

إني استغرب كيف يؤمن الإنسان بوجود الجن الذي خلقه اللّه تعالى ويرفض حتى الاستماع (ولا أقول الاعتقاد) بما تنقله نفس الطفل البريء التي هي أيضًا هبة من الخالق.

وفي هذه العجالة نكون قد سلطنا الضوء على واقع عقيدة ذات إيمان راسخ يجعلنا نعيش رغدًا فكريًا وعقليًا ونسبّح بقدرة الخالق العظيم.

2022/11/24

RABITAH: POETS IN THE PARK

A MONUMENT TO THE EARLIEST ARABIC-SPEAKING COMMUNITY IN THE UNITED STATES

Linda K. Jacobs*

Washington Street Historical Society (*WSHS*) was founded in 2013 to preserve the memory of the first Arabic-speaking community in the United States, which grew up on Washington Street on the Lower West Side of Manhattan beginning in 1880. Until the 2015 publication of Linda Jacobs' book, *Strangers in the West*, this community was largely unknown and unstudied. It was, however, the "Mother Colony" of the Arabic-speaking diaspora in the United States, and the intellectual, economic, and religious center of that diaspora. The early immigrants, from present-day Lebanon and present-day Syria, the great majority Christians, began as peddlers and soon made their mark in many fields, becoming textile importers and manufacturers, entertainers, bankers, music composers, and poets and writers. The *Pen League (al Rabitah al Qalamiyyah*), founded in New York in 1916 and then again more permanently in 1920, flourished in the rich literary culture of the early colony. Comprising at various times about ten members, among them Kahlil Gibran, Ilya abu-Madi, Ameen Rihani, and Mikhail Naimy, they published books, journals, and essays and poems in Arabic and English for which they became famous. It is to this group and the women writers of the period that WSHS is dedicating a public art monument in New York City.

* **Linda K. Jacobs** has a Ph.D. in Near Eastern Archaeology/Anthropology and spent many years working on economic development projects in the Middle East. She is the author of *Digging In: An American Archaeologist Uncovers the Real Iran* (2012); *Strangers in the West: The Syrian Colony of New York City, 1880-1900* (2015; 2nd Edition, 2023); *Strangers No More: Syrians in the United States, 1880-1900* (2019), and a forthcoming book on various members of the early Arab diaspora will appear in 2023. All four of her grandparents were members of the New York Syrian/Lebanese Colony.

Entitled “Rabitah: Poets in the Park,” the monument will be a permanent installation in *Elizabeth H. Berger Plaza* in New York City. Just steps away from the original Arabic-speaking neighborhood, “Rabitah: Poets in the Park” will comprise a series of richly-hued mosaic panels with quotations from the Rabitah writers. On the park’s central mound, a free-standing sculpture of the Arabic word *al Qalam* will be visible from all parts of the park and beyond. The monument has been designed by the Moroccan French artist, *Sara Ouhaddou*, who was chosen by the City of New York in a juried competition, in which more than fifty Middle Eastern artists were considered. The mosaic quotations and sculpture will be rendered in an abstraction of Arabic calligraphy developed by her, a concept that has become an important element of her artistic practice. The monument will be seen by the thousands of New Yorkers and tourists who pass through this park every day on their way to and from the Financial District. Major funding has already been obtained.

We hope to unveil the monument during Arab American Heritage Month in April 2024.

To complement and enrich the viewer’s experience, WSHS is developing a web-based touring app in Arabic and English that virtually recreates the Arabic-speaking neighborhood on the Lower West Side, on the one hand, and illuminates the art installation, as part of that community, on the other. As the user walks up Washington Street, the nineteenth and early-twentieth century neighborhood will be virtually reconstructed with vintage photographs, text, music, essays, and links to further reading, providing a rich sense of the early community. The tour pauses in Elizabeth H. Berger Plaza, where the app will provide translations of the quotations, poetry readings, and essays and interpretations of the poets’ work in Arabic, English, and other languages, and then continues on to the last three remaining buildings on Washington Street. Available for free worldwide, the app will allow people everywhere to learn more about the early community and to appreciate and enjoy the work of the early immigrant poets and writers. The National Trust for Historic Preservation, an agency of the American government, is funding the development of the app.

This permanent installation will be the first monument of its kind in the United States and given the importance of New York City in the history of the Middle Eastern diaspora, will be a source of pride to Arab Americans and Arabs everywhere.

We ask for your support for this important project and to continue the work of WSHS in memorializing this vital piece of Arab American—and American—history. Please contact me (*ljacobs78@gmail.com*) for further information.

تـشـظي الإنسـانيَّـة في «حبيبتي مريم»

للرِّوائيَّة الدكتورة هدى عيد

بين فاعليَّة الذَّات و«اللاوطن – الجثة»

دراسة بقلم: الدكتورة الأميرة منى رسلان
أستاذة النقد الأدبيّ المُعاصر والمنهجيَّة
في كليَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة ـ الجامعة اللبنانيَّة

يعودُ اختلاف الطبيعة أكانت الروحيَّة منها أو الأخلاقيَّة أو النفسيَّة أو تلك العقليَّة لدى الانسان، إلى التنظيم الذَّاتي الَّذي يرتضيهِ بحريَّته، أو ذاك ممَّا يكون مُرغماً على السير في معارجِهِ وِفاقاً لنظامِهِ. وقد تختبرُ الشخصيَّةُ أشدَّ عناصر التأزُّم ويعتريها القلقُ وتوتِّرُ فيها عوامل التوتُّر، فتسعى من خلالِ جودها إلى إخضاعِ هذا التوتُّر في صِراعِها مع المحيطِ الخارجيّ لتفهم مصلحَة هذا الخارج؛ وتالياً وعي أشكالِ العقابِ كافَّة التي حلَّت بها لتصلِ إلى المُصالحةِ مع المحيطِ / العالم الخارجي، ولتتحوَّل «الذاتُ» إلى فاهمة ومدركة لمقاييسِ «الموضوع»، كما يُعبِّر الناقد الأدبي المعاصر «الدُّكتور وجيه فانوس».

(*) نشر على موقع ASIA JOURNALIST ASSOCIATION، تاريخ 18 كانون الثاني 2023.

كلَّما أمعنَ النصُّ الأدبيُّ في الدُّخولِ إلى أعماقِ ذاتيَّهِ، وأماطَ اللِّثام عن خصوصيَّتِهِ، كلَّما توصَّل إلى أعماقِ الوجودِ الإنسانيِّ ليُلامس مُحيطَهُ الدفين، مُحفِّزاً ـ عبرَ فاعليَّةِ المُشاركةِ ـ قيماً مجتمعيَّةً وثقافيَّةً وانسانيَّةً مُشتركة، وبذا يكونُ للنّصِّ عبر فِعلِ الإرسالِ الأدبيِّ دورٌ تأثيري في نفوسِ مُتلقِّيه أو الباحثين فيه.

هُنا، ينفتحُ مفهومُ الحريَّةُ، كما يُعرِّفُها «باروخ إسبينوزا»، في الخلوِّ من القسر أيّ الاجبار. يقول: «هذا الشيء يُدعى حُرَّاً إذا كان يوجدُ وفقاً لضرورةِ ماهيتِهِ وحدها، ويُعين ذاتهُ بذاتِ الفِعل». وبالتالي فإنَّ الارادةَ هي أساس وجوهر الانسان وجوهر العالم.

كلما أمعن النص الأدبي في الدخول إلى أعماق ذاتيه، وأماط اللثام عن خصوصيته، كلما توصل إلى أعماق الوجود الإنساني

بناءً على ما تقدَّم، فإنَّ تصوُّرَ (الإرادة) لا يقومُ على معرفةِ عيانيَّة للعالمِ الموضوعيِّ، وإنَّما ينبثقُ من أعماقِ الشعورِ المباشرِ للفردِ؛ فهي جوهر الوجود الإنسانيِّ، وهي (الشيء في ذاتِه)، وهي الجوهر الخالد غير القابل للفناءِ، وهي أساسُ مبدأ الحياة.

وفي هذا المقام، فإنَّ أيَّ فعلٍ شامل للبحث عن الجديد فهماً وموضوعاً في الطبيعةِ الإنسانيَّةِ أو الفلسفيَّةِ أو الشخصيَّةِ، في النصِّ الأدبيِّ، عبر المُمارسةِ الجماليَّةِ، إنَّما يكمُنُ في البُنيةِ الفلسفيَّةِ العميقةِ التَّي تقومُ عليها هذه المُمارسةُ، خاصةً «عندما تكون فِعلاً عقلياً، فِعلَ مُصالحة للذَّاتِ مع الواقعِ، أو حتَّى فِعل انتفاضةٍ على هذا الواقع.

وعليه، يتجلَّى سعيُ الشخصيَّة إلى المُصالحةِ مع الخارجِ، والَّتي تجري عادةً على حسابِ قتلِ التوتُّرِ الدَّاخليّ، باعتمادِ وسيلةِ فهم من الدَّاخل / الجوَّانيِّ إلى الخارج / البرَّانيِّ. والسعي هُنَا يكونُ على مُستوى الطبيعةِ الروحيَّةِ عند الأشخاص أو المجموعاتِ، كما يُحدِّثنا تاريخُ الأمم من خلال تمظهر الشخصيَّات في سردِ الحكاياتِ البطوليَّةِ، أو حتَّى تلك الأسطوريَّةِ عند اليونانيين والرومانيين وسواهما، إذ كانت تميلُ الشخصيَّةُ إلى الفعلِ الانسجاميِّ والتوفيقيِّ أكثر منه إلى الفِعل التوتري المُستمر. فلا مندوحة في العملِ الأدبيِّ من وجودِ نهايةٍ تُرضي

«القانون» الخارجيّ، وليس «القانون» الدَّاخليّ؛ كما يفصِّل الدُّكتور فانوس.

بيد أنَّ هذه الممارسةَ الَّتي تسعى لتكون فِعلاً عقليّاً بامتيازٍ، وفِعلَ مُمارسةٍ لقبولِ راهنيَّةِ الواقِعِ والابتعادِ عن التغيير، وعن الثورة؛ تتواطأُ مع ما تفرِضُهُ فلسفةُ الانسجامِ مع الخارجِ، على الذَّاتِ ، ما يُفضي بالشخصيَّةِ إلى لجمِ تطلُّعاتِها، فتُمارسُ كبتاً مُقنَّعاً لأحزانِها وأفراحِها وقلقِها، وجوهرِ أحاسيسها وكينونةِ وجودِها، بتغييبِ كل ما يتعلَّق بحقوقِها، إلغاءً لخصوصيَّتِها الذَّاتيَّة في جهدٍ منها لفهمٍ أشمل لذاتها ولما يحيطُ بها.

وتظهرُ لنا شخصيّاتٌ أخرى، على خلافِ تلك الشخصيَّة المكبوتةِ؛ شخصيَّاتٌ / بطلةٌ تنمازُ بفاعليتها الذَّاتيَّة ـ والَّتي تتحدَّى من خِلالها الذوات الفرديَّةِ وبعض الأخلاقياتِ، وقيمِ نشوءِ الوطن، بتقاليدِها وعاداتِها ومُعتقداتِها وأنماطِها وسلوكيَّاتِها، كما يبرز مع الرِّوائيَّةُ «الدّكتورة هدى عيد» . . .

فرواية «هـدى عيد» «حبيبتي مريم»، لا تنساق بِفِعلِ الخواصِ الخارجيَّةِ وانعكاسِها على حياةِ الفردِ أو الأُسرةِ أو الجماعةِ، لا بل تراها تُشير بالوقائعِ الحقيقيَّةِ إلى «اِفتضاحِ» مكامِنِ الرشوة، وواقعِ العيشِ الأليم، مُنشدة «الحقيقة» والتغيير. تنتفِضُ «حبيبتي مريم» على الخوفِ والألمِ، مختبرةً ـ غصباً عنها ـ مفاعيل «الارهاب» والتهديد التي يتمُّ استقاطها عليها، و«اللا استقرار» جرَّاء استفزازِها لسُلطة «اللا دولة»، «اللا قانون»، واللا شرعية»، كما يرد في الرواية.

بناءً عليه، تُطالعنا في المتنُ الحِكائي لـ «حبيبتي مريم»، مشهديَّاتٌ متواليَاتٌ لـ «سلطةِ اللا وطن» والَّتي تضمِرُ خُبثها. فإنَّ نشرُ تحقيقاتِ الصُحفية مريم حول سوءِ الاستخدامِ الوظيفيِّ والاحتيالات الَّتي يُمارسها المُتلطون وراء «سُلطة اللا قانون»، المُتسلِّحون بنبرةِ «الترهيبِ والوعيدِ» و«قوَّة المال والنفوذ والسلاح»، قد استشعرت خطراً يُداهمها موثِّقاً فضائحها الماليَّة والقانونيَّة وسواها الكثير، الأمرُ الَّذي يدفعُها إلى تفريغِ

رواية «هدى عيد» «حبيبتي مريم»، لا تنساق بفعل الخواص الخارجية وانعكاسها على حياة الفرد أو الأسرة أو الجماعة، لا بل تراها تشير بالوقائع الحقيقية إلى «افتضاح» مكامن الرشوة

حِقدها «الدمويّ» في الجسدِ الأنثوي ـ المُتمثِّل بـ مريم، شهيدة الرأيّ والعمل الحُرّ.

غير أنَّ هذا التكشُّف وتعرية الواقع وافتضاح أمر «المُستزلمين»، قد سطَّرتها مريم في متن تحقيقاتها الصحافية، ومُسجلةً الشُبُهات بالوقائعِ والاثباتاتِ الدَّامغةِ، حيث تتفشى ظواهر من مثل: الرُشى والتسلُّط والالتفاف على القوانينِ الإداريَّةِ، وسوء التنظيمِ والمُحاسبة الوظيفي، ممَّا قد «ضرب» القطاعات المؤسساتيَّة والخدماتيَّة كافَّة في الوطن، على الرَّغم من التفاوت في المسؤوليات الإداريَّة والرُتب، و«كسَّر» تالياً هيبة الدولة والأمن، و«خلخل» بنائيَّة العلاقة السوية ما بين المواطن والدولة لبناء مواطنة صالحة، وقوَّض الأُسس الأُسريَّة، وانتهك الجسد الأنثوي (تهديداً واغتصاباً وقتلاً)، في سبيٍّ مُمنهجٍ لمنظومَةِ الأعـرافِ والقيمِ الأخلاقيَّةِ التي تحكُم علاقة الأفراد المُجتمعيَّة ببعضهم، ساحِقاً في الوقت ذاتِهِ قيمَ الحقِّ والعدالةِ والقانون، والحُكم الرشيد.

د. منى رسلان ود. هدى عيد

وكما تُبيَّن لنا «حبيبتي مريم» فإنَّ الإرادة تكمن باتِّخاذها لقرار المواجهة مع مَن يُمثِّلون «السلطة». وبالتالي إذاً ، في هذا المقام يكون الإنسان «حرّاً» في إرادتِه وخياراته.

ولعلَّهُ من المُجدي القول، إنَّ المفاعيلَ القياسيَّةِ الَّتي يتطرَّق إليها الباحثُ أو القارئُ الفاعل في البحثِ عن القيمِ الجماليَّةِ في أيِّ نصٍّ (شعريّ كان أم نثريّ ـ روائيٍّ ـ قصَّة ـ أقصوصةً ـأدب وجيز..)، إنَّما تظهرُ من خلالِ تحفيزِ طاقةِ العقلِ على التحليلِ والتوقُّعِ و«الكشف».

ههُنا يفيضُ البناءُ الحكائيِّ في «حبيبتي مريم» بأجزائِهِ الأربعة، بصوتِ راوٍ واحد من دون سواه من الرواة / الأصوات العائلية الأربعة (حكيم ـ ابن مريم ووحيدها؛ غريب جوَّال ـ الزوج؛ مريم ـ الأم وبطلة الرواية؛

جودي ـ ابنة مريم). ويروي الرَّاوي هنا بـ «ضمير المُتكلِّم»، أي أنَّهُ حاضرٌ في الدَّاخل، ويتدخَّلُ في تقنيةِ تركيبِ الأحداث. فمع الرَّاوي تقومُ المسافةُ الفنيَّة اللازمة لاستقلاليَّةِ العمل الأدبيِّ ـ الرِّواية، ولاستقلاليَّة الشخصيَّاتِ الحيَّة القادرةِ على الإيهام بحقيقةِ الأحداثِ، على الرُّغم من غيابِ «مريم» (حضوراً، وجثة)؛ وفي الوقتِ عينهِ يُشكِّل الرُّواةُ الأربعة «شخصيَّةَ الظِل» حيثُما ترتحِلُ الرِّوائيَّة هدى عيد، كالمُخرِج السينمائيِّ الَّذي لا نراهُ إلاَّ في أثره.

بينما تشي فاعليَّةُ تعدُديَّةِ الرُّواة ـ الواحد، بفِعلٍ تشارُكيٍّ مع البطلةِ. إذ تنبي العلاقاتُ في ما بينهم وتولِّد دلالاتها، وليصبحوا بمعنى آخر أبطالاً مُشاركين، فاعلين في سردِ حكاية عيش مريم الوجوديّ، مُسطِّرين بذلك جريان الأحداثِ الرِّوائيَّةِ في «حبيبتي مريم»، ممَّا تتعالقُ أو تتعارض سويَّاً، أو هي تتناسق أو تتأزم، أو لربّما تقرُب فتبتعد رويداً رويداً، في مواجهةٍ مع مرجعياتٍ «سلطويَّةٍ»ـ صِداميَّةٍ ـ قمعيَّةٍ، مُغتصبةٍ وقاتلةٍ في آنٍ معاً، لا تُجيدُ الحِوارَ في ما يخصُ مصالحها الشخصيَّة، إذ عمِلت على احداثِ شرخٍ عاموديٍّ وأُفقيٍّ في مؤسَّساتِ الدولةِ، منقضَّةً بذا على مظاهِرِ هيبةِ الحُكمِ بالعدل.

«مريمُ الحبيبةُ»، مارست فاعليَّةَ وُجودِها الحُرّ في مفاصلِ حياتِها، وإنساقت هذه الحريَّةُ على اتِّخاذها لمسارِ صعب وطويل من المُواجهاتِ المُتكرِّرةِ مع الحياةِ. لقد دأبت البطلةُ «مريم» على التركيزِ والصدِّ طلباً لتحقيقِ العدلِ المُجتمعيِّ إنسانيَّاً و وطنيَّاً؛ وحتمية المواجهةُ تلك لم تكُن مع الأخ في الوطن، لا بل مع تكتُّلاتٍ كُبرى (اقتصاديَّة/ ماليَّة/ سياسيَّة/ حزبيَّة/ دينيَّة/ اجتماعيَّة...) تتقصَّدُ تغييب السلطة، والتستُّرِ على «التشيُّؤِ الأخلاقيِّ ـ المافياوي»، والذي يُصاحِبُ اهتراءً إداريَّاً وماليَّاً واقتصاديَّاً، وضعضعةً في منظومةِ القيمِ الاجتماعيَّةِ والأخلاقيَّةِ وما يُشاكلها من مُثل عُليا، تحكُم علاقة الأفراد بعضهم البعض.

في خضمِّ هذه البيئةِ المُلتبسة، «المسعورة» بوهمِ السُّلطةِ والجشع

«مريم الحبيبة»، مارست فاعلية وجودها الحر في مفاصل حياتها، وانساقت هذه الحرية على اتخاذها لمسار صعب وطويل من المواجهات المتكررة مع الحياة.

(ماديَّاً ومعنويَّاً وسلطويَّاً)، تسطعُ شخصيَّةُ «مريم» الإنسانة المُثقفة، الصحفيَّةُ المُتمرِّسة في القسمِ السياسيِّ والإقتصاديِّ في إحدى صُحف الوطن؛ لتظهر في الرِّوايةِ غيرَ اِنهزاميَّةٍ من خلال إجرائِها لتحقيقاتٍ مُوثَّقة بالأدلَّة والبراهين حول عمل «المافيات». وتبدو مريم بشخصيَّتِها المُنطلقةِ، باحثةً عن الوجودِ والهُويَّة الذَّاتيَّة وكأنَّ السرد / القصّ الحكائيِّ بذاتِهِ، يندفِعُ عبرها إلى عيشِ الحُريَّاتِ الفرديَّة، و«العدالةِ المُجتمعيةِ في وطنِ الرسالة والمواطنة»، انطلاقاً من رسوخ الحُرِّيَةِ في ذاتِهَا الفاعلةِ لإحداثِ تغييرٍ ما في نمطِ الحُكمِ ـ أي قيمِ العدالة والمساواة، وايمانها القوي الفعلي بقوَّة ومصداقيَّة تحقيقاتها الصحفيَّة، في تعريةِ «الأزلام» مهما علت رُتبهم الوظيفيَّةِ، وتصدِّيها للضغوطاتِ والارهابِ السلطويِّ، الماديِّ مِنهُ والمعنويِّ، على الصُعُد كافة، (السياسيَّة والاجتماعيَّة والاستزلاميَّة)، في مواجهةِ القضبانِ الحديديَّة، أو وتصدِّيها لسلطويَّةٍ تستلُّ مِن الترهيبِ استمراريّةً لنهجِها التهديميِّ.

إنّ النص الحكائي في رواية «حبيبتي مريم» يستند إلى حضور «المريم» في رحاب الرواية، زمنياً ومكانياً، أسلوبياً وسردياً وحوارياً، من خلال تواتر الأحداث الدرامية المتصاعدة

وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ النصَّ الحكائيِّ في رواية «حبيبتي مريم» يستندُ إلى حضورِ «المريم» في رِحابِ الرِّوايةِ، زمنيَّاً ومكانيَّاً، أسلوبيَّاً وسرديَّاً وحواريَّاً، من خلالِ تواترِ الأحداثِ الدِّراميَّةِ المُتصاعدة والمُفاجئةِ وصولاً إلى «الفجيعةِ» الكُبرى ـ اغتصابٌ فقتل، وهلوساتٌ أُسريَّة (شكُّ الزوج بحبيبته) و«وشوشة» من الطبيبِ المُعاين للقتيلة «أن اغتصبها قُبيل مقتلها»، تستدعي من الزوج البحث في آلية لـ «نبش قبر حبيبتِهِ مريم الفارغ من الجثة ـ المفاجأة / الحدث الصادم؛ ولتستحيل الجثَّة «المسروقة» وطناً مسروقاً، أو مكان «اللا ـ جثة» هو اللا ـ مكان الوطن، أو «ضياع «الجثة» بما يمثِّلُه من ضياعٍ لمقوِّماتِ الوطنِ الفعليِّ المُستباح، معضلةً أخلاقيَّةً بادئٍ ذِي بدء، ومن ثمَّ تدميراً للإنسانيَّةِ، مولِداً المزيدَ من الشحناتِ العاطفيَّة «الهجينة» (من رُهاب ووسواس قهري، وخللٍ على مستوى الوظائف الفكريَّة ـ المنطقيَّة والنفسيَّة والأداء الحركي»، إلى جانب تعاظُم الشعور بالغُبن، هذا ناهيكَ عن التفكُّكِ والضياع..)؛ جميعها أزمات متلاحقة تغور في عميقِ النَّفسِ البشريَّةِ ، فتنتشي بكآبتها وحُزنِها العائليّ، كما الوطنيّ، الَّذي يُلامس

حدَّ التيه والتشتُّتِ وضياع الأحلامِ بتحقيق الديمقراطيَّةِ والعدالةِ الإنسانيَّةِ.

غير أنَّ المسار المُتصاعد للأحداثِ في «حبيبتي مريم»، يتجاوز ببُعده الدِّراميِّ الشخصيّ ـ الذَّاتيّ، كي يُرسِّم نكوصاً في تجربة جودي، ابنة مريم، الَّتي تشغلُ حيِّز الرَّاوي الرَّابع، بعد أن أغنت تجرُبتها في الزواج المُختلط، بحُبها العابر للطوائِفِ والمذاهِبِ في لبنان؛ ولا يلبثُ أن يسقط زوجها الحبيب مُضرَّجاً بدمائِهِ المجبولةِ بعرقِ الكدِّ والتعبِ، جرَّاء نسف مرفأ بيروت في فضاءٍ اِنعزاليٍّ، سلبيٍّ ـ لا تواصليٍّ. فـ جودي الَّتي تستشعرُ غيظاً وقهراً واذلالاً بعدما فقدت نكهةَ الحياة وديناميتها، تنسحِبُ مُعاناتها على جميعِ العائلات الملكومة، فتعبِّرُ عن ذواتِها المُتفجِّعةِ صُراخاً ونحيباً واِعتراضاً على عدالة «منشودةٍ» في وطنٍ مُسجَّى.

إذ تُطالعنا بنائيَّةُ الرِّوايةِ، بزمنٍ سرديٍّ يتداخلُ في ما بينه. زمنٌ مسوَّرٌ بإرهاصاتٍ ماضويَّةٍ، يكتسبُ الابن «حكيم بن غريب جوَّال» ملامحه التائهة، مُختبراً حاضره الآنيِّ بتواترٍ تكراريٍّ متواصلٍ، وأزمتهِ مع الغربة اللندنيَّة، توهُّماً ووحدة؛ وهو المُشلَّع نفسيَّاً ما بين زمن عيشهِ اللندني والبيروتي، بما تُشكِّلهُ خاصيَّة الحنين إلى الوطن في تقنية استرجاعيَّة، توقاً إلى اللُحمةِ العائليَّةِ وما تُشيعه من جوٍّ طمأنينةٍ أُسريَّةٍ على وجهِ العموم، والتفيُّء بدفءٍ أموميٍّ على وجهِ الخصوص.

أين يبدأُ الوهم في الحياة، وأين تنتهي الحقيقة؟

في حين يتواءمُ تساؤل فلاديمير بارتول، الذي تُسطِّر الرِّوايةُ قوله، في مطلعِ القسمِ الثانيّ منها: «أين يبدأُ الوهمُ في الحياةِ، وأين تنتهي الحقيقة؟ ـ مع اعتمالِ شعورِ الخيبةِ ـ الفجيعةِ لدى «غريب جوَّال»، والد حكيم وجودي، وحبيب مريم. يواجه غريب موت حبيبته، وتفجُّعهِ العشقيّ اِنسانيّاً وأُسريَّاً، ينفجِرُ مع الحدث الدِّراميِّ الأكثر تأزُّماً بعد أن يتمخَّض المسار الحِكائيِّ عن نكبةٍ تُضافُ إلى انتكاسةِ الأُسرة بخبر قتل مريم ـالأم: لقد «اغتصب مريم، قُبيل قتلها!؟ فيقع الحبيب ما بين فكاكِ فجيعتهِ الكُبرى: واقعةُ الاعتداء عليها اغتصاباً؛ مُذكِّرات مريم؛ نبش القبر، وضياع الجثة ـ مسكن النفس والطمأنينة في الوطن. ويختبر الحبيب جُملةً من المُعادلات

المقلوبة: هل ما يعيشُهُ من شكٍّ وتأزُّمات، نسجاً تخيليّاً، أم واقعاً دلاليّاً على البُنيةِ الدَّاخليَّةِ المُهتزةِ نفسيّاً وذاتياً، أو أنَّه على صعيد نمط حركيَّة المُجتمع اللبناني، والبُنية المُهترئة في «اللا ـ وطن» حيث «اللا ـ آمان»؟ هل ينبشُ القبر بحثاً عن تأريخٍ ما لفضاءاتِ «وطن الجثة»؟

ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ حضورَ مريم في سرديتها الذَّاتيَّةِ الحكائيَّةِ تشعُّ، بحيث تتمدَّدُ وجوديّاً (على اختلافِ الأزمنةِ والأمكنةِ) على امتدادِ مسارِ الأحداثِ الرِّوائيَّةِ الدّراميَّةِ ـ الفجيعة، وتنتشرُ خارجها على امتدادِ «جُثَّة ـ اللا وطن»، في تلازمٍ عجيب، يضعنا أمام خيارين لا ثالث لهُما، وفي مواجهةٍ حتميَّةٍ لا مفرَّ منها، تطالُ في ما تطاله من ذلك المنظور المُتمثِّل بـ «المرجعيَّاتِ الأخلاقيَّةِ» ـ المُجتمعيَّةِ والدينيَّةِ والقيميَّةِ، وتلك الَّتي تطأ غياهب «اللا ـ ضمير الجمعي»، مع ما يكشِفُهُ السَّردُ من تعارُضٍ مِفصليٍّ ما بين مشهديَّةِ مروياتِ «السُلطةِ» الموارِبةِ بالتكاذُبِ، ومرويَّة العائلة: إمَّا عبر تفعيلِ الحضورِ كمرجعيَّةٍ فعليَّةٍ واحدةٍ والمُتمثِّلة بالدولة ـ الأُم (قانوناً، وأمناً واحتضاناً، بعدلٍ ورعايةٍ)؛ وإمَّا عبر تسويغِ «اِعتلالِ السُّلطةِ» ومن يختفي بظلِّها، أي «الغياب المُقنَّع» بأوجُهِهِ الظلاميَّةِ (عسسيّاً، وأمنيّاً المرتهنةِ بغائيَّةٍ وأنانيَّةٍ وذاتيَّةٍ وديكتاتوريَّةٍ مافياويَّة في وطن هجين ـ «اللا وطن»).

إن حضور مريم في سرديتها الذاتية الحكائية تشع، بحيث تتمدد وجودياً على امتداد مسار الأحداث الروائية الدرامية - الفجيعة، وتنتشر خارجها على امتداد «جثة - اللا وطن».

تُبيِّن الذِّكرياتُ الشاخصةُ في رواية «حبيبتي مريم» للدكتورة هدى عيد، والَّتي تسلكُ في البناء الروائي المنحى الاستذكاريِّ ـ الاسترجاعيِّ أو المرجعيّ أو العكسيِّ المُموَّه، أنَّها تسعى إلى التخفيف من حِدَّة الحدث الدِّرامي أحياناً، ولربَّما جاءت لطمأنةِ الشخصيَّاتِ المفجوعَةِ بتشظيها، والساعية لتجسيد فاعليتها الوجوديَّة من اِنعدام الفاعليَّةِ، ولكنَّها سوف تتقاطعُ حُكماً مع الزَّمنِ بعالمِهِ السُفليِّ، والَّذي يتضمَّنُ الراهنيَّةَ والتوهُّم والموات، بواقعيتهِ الحقيقيَّةِ الفجَّة: الاِنسحاقُ الإنسانيُّ قهقرةً في عيشِ «اللا ـ وطن ـ الجثة» في جسدِ «المريم»، كطيفٍ من سحرٍ مُوجعٍ، أليمٍ، بِانسيابٍ حركيٍّ وتعبيريٍّ وترميزيٍّ لا نهائيّ.

شرتونيّات

(4)

شعر وأفكار نبيه الشرتوني

وعدٌ يتجدّد

يومَها،
وبعدُ لم يُولد الزمانْ،
لم يُولد العهدُ
ولم يحدَّد المكانْ،
يومَها التقيتُ في الضاحية،
مع ذاتيَ التائهة،
معَ ذاتيَ،
عجباً! من أنتَ؟ سألَتْني...
وأنتِ؟ أجبتُها،
لم أعرِفْكِ قبل اليومْ،
متى أتيتِ؟ ومن أيِّ مجالْ؟
أتيتُ من الأعماقِ، من ضميرِكَ
أتيت من المحالْ...
أتيتُ من الوعدِ الدّائمِ الحيّ،
من فكرةٍ رحلتْ تبشّرُ بالبعثِ،
من فكرةٍ ملّتِ الجُمودْ،
من إلهٍ يعيشُ معَكَ،
يعيشُ منكَ وبكَ.
تقولين من إلهٍ
فمن هو هذا الإله؟
أريد منكِ تعريفا،
أجابتني الـذاتُ بـلـذّةِ الـعـارفِ طيب المعرفة:
إنَّهُ الفكرُ الذي لا يفارقُني دائما

فهو اللقاءُ مع الغيبِ،
حاضرٌ أبدا...
معَ الأمسِ والحاضرِ،
معَ المستقبل،
معَ اللقاءِ ومع الفِراق،
مع الكلمةِ، مع البسمةِ ومع الدمعةِ،
ومصير اللّحنِ يتقرّرْ
في وقعِ كلِّ نسمة
يتقرّبُ من الترابِ
لأنه من صُنْعِهِ،
ويتكابرُ على الزمانْ
لأنه لا عهدَ له بهِ،
وُلِدَ قبلَ الزمانِ وقبلَ المكانْ
إنه الحياةُ، الحياةُ التي أنتَ تمثّلْ
والضميرُ الذي أنا أمثّلْ،
عفوكِ ايتها الذاتُ
أنا الضائعُ،
فَمِنْ هذه الحكايةِ لم أعِ شيئًا.
إنها الأنا في أعماقِ كلِّ انسانْ

جوهرٌ يتسامى،
وعدٌ يعيشُ أبداً ومنذُ الأزلْ،
أنت لم تعرفْه يوماً
ومعي دوماً، عنه تُفتِّشْ،
تحدثُني وعنه تسألُني،
يصعب علينا اللقاء
من جديد اذا تفارقنا،
عفوكِ ايتها الذات
لا تفارقيني
وبعد حديثنا في أوّلِ كلامْ،
انا معك ولا فِراقْ
اذا شئت ان تلقاني يوما
وتلتقي الإلهَ الذي في الذاتِ
لا تنسى هذا الشعور والإحساسَ هذا،
وعنه فتِّشْ فربما تلقاهُ
في كلمةِ
«الإيمـان»
وعدٌ يتجدد.

* * * * *

أراجيح

تخيّل كوكب الأرض دون وجـود: دون كائن حي، دون نبض قلب ودون حركة في دائرته حتماً تشعر بالفراغ، بالجمود والرعب! شعر الخالق بأن الكون ناقص دون إنسان وكأنه بحاجة إلى زخرفة تُحييه، فجبل آدم من التراب وابتكرَ حوّاء من ضلعه وجمعهما في الزواج وقال لهما: «أثمروا واكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلّطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدبّ على الأرض». فيا له من سخاء ويا لمتعة هذا الطلب!

عاشرْتُ جميع أنواع الناس وتأملت تحرّكاتهم ومحادثاتهم. لمسْتُ خيرَهم، رأيْتُ شرّهم بأم عيني وأحسست به في قلوبهم. رأيْتهم يميلون إلى الشر والأشرار أكثر من الخير والأبرار. هؤلاء الناس الذين يحبّون مشاهدة الخير وتغلّبه على الشر في نهاية الأفلام ولكنهم في الواقع ميّالون إلى الشّر. هم يحبّون ذواتهم ومصالحهم الشخصية، يستسلمون لشهواتهم ويبغضون الإنسانيّة.

لم أرَ عدلاً في هذه الدنيا، فجاء السؤال يطرح نفسه: من أين أتى هذا الإنسان المتناقض؟ ما هي الحياة؟ ما مصدر الشرّ ولمَ نتألم؟ هذه الأسئلة التي أسرت قلوب الملايين من الناس والتي طرحها العديد من الشعراء على نفوسهم، جاء جوابهم مختلفاً باختلاف معتقداتهم ودياناتهم وفلسفتهم!

من المستحيل عدم التفكير بالله واهب الحياة. بعضهم يقول «آخذها» وهذا ما لا يمكن للمنطق إستيعابه! كيف يمكن لهذا الإله المحب الكليّ العدل، أن يُنهي حياة أي إنسان وهو الذي كوّنه؟ هل هذا فعلاً قصد الله من الإنسان؟

تأخذك الحياة بأراجيح، تارةً تعلو وطوراً تهبط، تارةً تمشي هاشّاً باشاً وطوراً يشلّك القلق والإضطراب، تارةً تقوى على الشر وطوراً يقوى عليك فتكون أسيراً له. هذا الصراع اللامتناهي بين الفرح والغمّ، بين الخير والشّر، والإنسان العالق في الوسط؛ الصراع بين ملذّات الجسد ونقاوة الروح، وبين الإنجراف إلى الأخطاء وفعل الصواب. فحين يغلب الخير على حياتك، تعيش بسلام داخلي وسعادة لا توصف، لأن عمل الخير والعطاء يجلبان شلّالاً من السعادة. أما إذا كان الشّر هو المسلك الذي تختاره فستحصد الشّر والموت والخطيئة وعذاب الضمير وسمعة ملطّخة بالدّماء.

عدوّ الإنسان: الموت!

ها إن الفاجعة تصوّب براثنها نحوك دون رحمة السامع
فتُصعَقُ الآذان، وتجُفُّ الأحلاق، والفؤادُ من الخفقان دامع
ترمي الخبر تقذفه عنك، جافل من حكاية الموت الطامع
لا بدّ من رقدة الموت حتى لإنسان خُلِّد من الازدهار اللامع!

وما يبقى من الحبيب إلّا الذكريات، إلّا الصّور والكلمات
فرُبَّ حديث تبادلتماه مؤخّراً، يَوهِنُ على وجهك الإبتسامات
وربّ نصيحةٍ أسداها لك أضحى وقعها من أعظم الوقعات
ساداتهم أنت أيها الغالي! ما زال ذكرُكَ حيّاً بين النسمات!

وماذا يبقى عند الموت؟ وماذا يأخذ الإنسان إلى قبره؟
هل ينعم بثرواته؟ بنجاحه؟ بشهرته؟ بسلطته؟ أو ببرِّه؟
كلّها تفنى مع عوامل الحتّ، كما الإنسان يفنى في سرِّه
أما البِرّ وصيّةٌ من الله، فللّه درُّه، وحده العالم بخيرِه!

يذفرُ الجسد والأسارير في القفر حيثُ لا فكر فيه ولا كلَأْ
ويُطفأ الذّكا فيضحى رماداً، وتُنسى المحاسن مع المَلَأْ
والحياة تمضي! البليّة فقط على من رحل وجلده قد حَلَأْ
رجاء الموت هو الحياة! ذمّةٌ من الله القدير حين أومأ!

بي الكون...

يا خالق الدني بسلطانك
صيّرتها بدر
كانت غرقانة بخربة براكينها
تغلي جمر
فصلتها ما بين سهول، جبال،
وادي ونهر
كانت بظلمة عطيتها نور
واليابسة شكّيتا زهر
نفخت بترابها خلق آدم وبلّش
عمر
رسمت قمر ع جبينها، هندية
انسدل منها شعر
شعرها نجوم مرصّعة مندارو
ناطرة أمر
وطرف جداديلها شمس شارقة
مربط مجنون حبيبا البحر
توصل لحدو يبوسها تغيب
عنو، يبدا صلاة الشكر
كوكبنا جوهر عجيب سجل
حلقاتو بحكمة وسحر!

أميرة

كم أحبك يا صغيرة، يا طفلةً في
حبّها «أميرة»
تختال في فكري، قلبي وعقلي
فتقتل ساعات الحزن المريرة.

أفكّر فيك في الصبح والظهر
والمسا
كأنّ العالم وما فيه اختفى
أراني أترك الدنيا في ثوانِ
لأسرق منك كل ذرّة حنانِ.

تدلّلي والعبي واحرقي عذاباتي
أنا مجنونك وأنت جميلة جميلاتي
سنحلّق بعيداً، يا من انتظرتها
طويلاً
نضيع بين النجوم ونخلق للأرض
جيلاً.

أحبّيني كما لو أنها أول مرّة
فحبك سعادتي أبعدي عني
الشّرا
أنت كلّ ما أريد في حياتي
فتزوّجيني وابلغي أمك تحياتي.